TorathBookstore

رواية

القرود في بلد النمرود

سيد أحمد أمين

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الكتاب/القرود في بلد النمرود.

اسم المؤلف/ سيد أحمد أمين.

سنة النشر/2021

مصممة الغلاف/سها عبدالنبي.

تنسيق/ عبدالرحمن محمد

الجهة الناشرة/ دار تراث للنشر الإلكتروني.

مدير عام الدار/أميرة محمود فتحي.

رئيس مجلس إدارة الدار/ عبدالرحمن محمد عبدالصبور.

دار تُراث للنشر الإلكتروني

Website/https://torathbookstore.blogspot.com/

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

القرود في بلد النمرود

مقدمة:

لم أكن أتصور يوماً أن يأتي على الناس من يسبق الشيطان في كيده ومكره ودهائه ، حتى يتعجب الشيطان من هؤلاء ومن مكرهم وبغضهم وما في قلوبهم من غلٍ وحسدٍ ، فبينما الناس تتزاحم في المشاكل التافهة التي ينزف من جرائها الكثير من البشر سيل الدماء وتتمزق الأشلاء وتضيع من أجلها الحضارات وتتغير معالم البلاد ، والغالب على ذلك الطمع والغيرة والكبر والتعالي المزيف وقوة العدة والعتاد وما يملكه هذا المعتدي من مال ورجال وقوة منحها الله إياه

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

فتجد أبناء الشيطان في كل زمن ومكان يخرجون بمخالبهم التي توقد ناراً، فيتركون خلفهم مآسي وأزمات وأطفال لا يجدون لهم آباء.

الفصل الأول :

رابين

-يخرج رابين بملابسه المشدودة الزيتية التي تشبه ملابس الشيطان ويضع على كتفه شارات مبهمة لا تشير لشيء ولا تدل على رمز من الرموز وبيده ساعة يدوية كبيرة تشبه رأس الأفاعي ورأسه الجلحاء التي بها بعض الشعيرات البيضاء ونصفها شبه أسود ويرتدي في قدميه هذا النعل الأسود الذي يلمع كأنه وجه عفريت ، ويظل يسير في مكانة نحو النافذة التي شيد أمامها هذا البناء الشاهق الذي تعلوه منارة سوداء قد رسم عليها ذلك الرجل القزم "أنجلو" قُرون

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

"وعلٍ" ، بل قد وضعوا تلك القرون على كل الأشياء وعلى مشارف الطرق وعلى ألويتهم السقيمة ، وأخذ رابين يحدق في هذا البرج الشاهق في نظرة هام من خلالها فيما سبق من حياته ، فتذكر عندما كان في صغره وكان في وسط البلدة التي كان يقطنها هو وبعض قومه القلة وقد كان يرى ازدراء الأغلبية الذين في الجوار من قاطني البلدة لهم ، فكم ضُرب وأُوذي من هؤلاء الناس في صغره هو وعائلته الصغيرة التي لا تتعدى العشرة منازل ، فقد كان الناس يُبغضونهم في كل مكان هم ومن ينتمون لهم في أماكن أخرى ، وهذا لأنهم كانوا يتميزون على الناس ويقولون على أنفسهم:

أنهم ليسوا كغيرهم من البشر ، بل هم أقذر من البشر ، فقد تفرق هؤلاء الأقزام على مر الزمن في كل مكان وقُتل منهم من قتل ونُفي من مواطنهم الكثير حتى صار في كل بلدة حفنة منهم ، ولكنهم لا يختلطون بغيرهم ممن لا ينتمون لهم ، ولا يستكفون بذلك بل يوقعون بين الناس بالنميمة ويصنعون للناس الخمور وما يضرهم من تسليط نساءهم بالفجور والرقص والعري وبكل وسائل ذهاب العقل ، وهدم البدن ، فعرف الناس مكرهم وخبثهم وما هم فيه من خداع

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

وإيذاء وتضليل ، فأخذوا يُنكّلون بهم وينفونهم من بلد إلى بلد ويسجنونهم ويقتلونهم ، ويذكر رابين عندما كان يبكي على أبويه عندما قتلا رجماً بالحجارة في ميدان كبير وذلك لقتلهما طفلة صغيرة من أبناء الجيران ، فغضب الناس وقيدوهما ووضعوهما في ميدان فسيح وانكبوا عليهما رجماً بالحجارة ورابين يبكي ويصرخ لمشاهدة أبويه ، وأخذ عمه يسكته حتى لا يسمعه الناس فيقتلونه كما قتلوا أبويه ، ولا ينسى رابين عندما أخذ من البائع رغيف خبز ليأكله ولم يعط للبائع المال فزجه في السجن وهو في صغره ولم ينسى وهو بين جدران السجن وقد اجتمع عليه من معه في السجن من الصبية بضربه وفعل كل شيء به حتى خرج من سجنه وهو فتىً يافعاً فوجد من كانوا معه من أقاربه قد رحلوا أو ماتوا أو سجنوا حتى تشتت بني قومه في شتى أرجاء الأرض ، ولكن رابين تذكره تلك الندبة التي في جبينه عندما كان يمشي ليلاً في إحدى الطرق فقابله بعض الصبية فأوجعوه ضرباً وترك له أحدهم ندبة على جبينه لتذكره أنه كان لا شيء سوى جربوع صعّده القدر إلى تلك المنزلة ، فهيئته الرثة وقدميه الحافيتين عندما كان يتسكع بين الناس ليطلب منهم

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

اللقمة وأن يعطوه بعض النقود لم ينساها ، فما هي ببعيد ، لقد كان يأتي عليه الليل بلا غطاء يغطيه ولا عشاء يشبعه ويشبع إخوته ، لقد صارع الموت كثيراً وكافح من أجل البقاء ، فأمعن النظر إلى نفسه وقال لها : أنت الآن لست كالسابق أنت ذو أهمية في المجتمع ، وأنت من الرجال المعدودة في الدولة ولم تكن لتمشي كالشحاذ في الطرقات تستلهم عطاء الناس وتتسابق من أجل لقمة أو ثلاث لقيمات مع بعض الصبية في لهيب الصيف المحرق ، فلم التذمر إذن ولماذا تنسى ماضيك الأسود؟

أما ترى نفسك في المرآة؟

أنت راضٍ عن نفسك؟

تفعل ما تفعل من أجل بلدة ومستعمرة قامت على أشلاء الضعفاء والعزل والنساء وبعض الرجال الذين لا يملكون سوى بندقية أو مالا ينفع في مواجهة الطائرات والمدافع والدبابات ، أم إنك في وهمك تسير؟

أتسمي هذه المعارك نصراً؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

لقد هزمنا في كل حروبنا هؤلاء الضعفاء بمساعدة أمريكا وبعض الدول الأوروبية بأحدث الأسلحة الجوية والبرية والمائية وهم يستخدمون أسلحة تقليدية ومستوردة من دول معادية لهم ، فهم يعطونهم أسلحة عفا عليها الدهر وتكون معلومة لديهم (فالدولة المعروفة تسليحها وقمحها واستيرادها وتصديرها يسهل حربها وهزيمتها)

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الفصل الثاني:

سارة

سارة ذات القوام الذي يشبه قوام النعجة العرجاء فقد تعدى عمرها نصف قرنٍ ولكنها تبدوا كأنثى القرد ، عجفاء شمطاء لا تستمتع بالنظرة لها من قرب ، فلون وجهها المُشْرَبُ بصفرة ينم عما تخبئه من حقد دفين وكراهية لكل من عاداها ، فلسانها السليط لا يرحم أحداً حتى أقرب الناس لها فكل من يعرفها يخشى حدة طبعها وسلاطة لسانها ، ويتقون ما تلقيه من كلمات كالحجارة كبيرة الحجم ، فهي نشأت وتربت على ذلك ، فأمها كانت هكذا بذيئة اللسان ، متفحشة الكلام ، ترفس رفساً ولا تراعي الأدب ولا الذوق في حديثها ، فكم كانت أمها

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

تسبها أمام الناس وتكيل لها الشتائم كيلاً ، حتى إنها كانت تسب زوجها وتتعالى عليه بكلمات تتفنن في جمعها من كل أحشائها ، فشبت سارة على ذلك الخلق الوضيع والتربية المتدنية فتسمع سارة دخول رابين حتي تسرع إليه على عجل وتدخل على رابين فتضع يدها على كتفه الأيمن وتعانقه من الخلف على غير العادة ولكنه اعتاد منها الجفاء واللسان البذيء وأخذت تذكره بهذا البرج المشيد عندما أتوا إلى هذا المكان من خمسة عشرة سنة وكانوا قد أتوا من كل الدنيا إبان الحرب العالمية الثانية تلك الحرب التي خسر فيها العالم كله ملايين البشر وملايين المصابين وملايين الدولارات ولم يكن هناك السبب الكافي لذلك إلا فتنة من هؤلاء القوم حتى يدينون العالم بالديون ويكنزون الذهب والأموال من وراء هذه الحرب ، حتى قال بعض القادة العسكريين :

إن المستفيد الوحيد من هذه الحرب العالمية الأولى والثانية هم هؤلاء القوم حتى صاروا يمتلكون الذهب والإعلام والصحافة واقتصاد العالم ، فقالت "سارة لرابين :

ها نحن يا حبيبي قد أصبحنا نمتلك البلد التي تجمعنا من كل مكان حتى صار لنا الوطن الذي نلتف حوله ونحميه ونضحي

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

من أجله بكل ثمين ونفيس وبأرواحنا ودمائنا ، فكم عانينا من تشرذمنا وتبعثرنا في كل مكان ، ولكننا لن نقف نشاهد من بعيد ولن نكون أبداً في وضع دفاع بل سنحارب ونقاتل ونزرع العراقيل أمام الدول التي في الجوار ، فهم أعدائنا الذين سلبونا أرضنا ووطننا ، فلابد من الكيد لهم ووضع الخطط والأسلحة التي تردعهم وتجعلهم تحت أقدامنا ما حيينا ، فقال لها رابين :

أنت لست كعادتك ، ماذا حدث هل هذا البرج سينهار ؟

أماذا خلفك من شر؟

هيا بُوحيِّ بما تخبئينه؟

فقالت سارة وقد اشتاطت غضباً :

أنا أيها الصعلوك ، يامن انتشلتك من الضياع والتسول لتتبوأ تلك المكانة في هذا المجتمع بواسطة أبي الذي رفعك إلى تلك المكانة الرفيعة بعد أن كنتَ شحّاذاً وتتسكع في عواصم العالم لتتلقى فتات العيش من وراء عمليات القتل والاغتيالات التي كنت تفعلها من أجل المال لا من أجل مجد المستعمرة ،

فقال رابين ووجهه قد بدا عليه الخجل والحنق:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

كفى يا سارة يكفي هذا اليوم

رابين

يتركها رابين ويذهب للخارج ويركب سيارته الكبيرة التي تشبه المدرعة ولا يتكلم ولا يبتسم حتى ، بل يسير كالذئب الذي يبحث على فريسة ويحدث نفسه قائلاً :

لقد كنت يا رابين في ضياع وسقوط حتى أصبحت الآن من سادة القوم وممن لهم اليد الطولى بين الناس وغدوت في وطن كبير تهابه الكثير من الدول والشعوب ، فهل سيكون لنا السيادة التامة في المنطقة أم سيؤول أمرنا لما كنا عليه من قبل وتتبدد الأحلام وتتبعثر الأماني من اتساع دولتنا لأكثر من ذلك ، فأسطورتنا تقول لنا أننا سنملك هذه المنطقة كلها وسنسود على من حولنا من هذه الدول المتناحرة الهشة الضعيفة التي يأكل بعضها بعضاً ويقتل قويها ضعيفها فلن نسمح لمن كانوا يقطنون قبلنا هذه الأرض أن يعودوا ثانية

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

أو يكون لهم عليها أي عيش ، فنحن من كنا نعيش قبلهم في هذه البلاد العريقة ولنا عليها الكثير من الآثار والمعابد وميراث أجدادنا

سمحون

"سمحون روبن" من رجال المخابرات الحربية ، وهو من الرجال الذين إذا رأيتهم حدث لك غثيان وقشعريرة كأن أمامك خمسة كلاب يقبلون عليك ، فصوته الجهوري الذي يصعق سامعيه من كثرة ما به من تلوث بيئي وكلام صلب يجعل من يسمعه ينفر منه ومن كل ما يلفظه كأنه وزعٌ ، فتتهافت منه بعض العبارات المضحكة والهزلية التي تنم عن جنونه الأزلي فلا تستقر له جارحة طيلة جلوسه فيدخن سيجارة تلو الأخرى ، ويتطاير من أنفه الدخان القاتم كأنه مدخنة لمصنعٍ ، فيقول لنفسه :

أما آن لك أن نستريح من هذا العناء والسهر وتلك الأشغال التي نعيش فيها ليل نهار؟

وهل بعدما أصبح لنا الأرض والوطن نظل هكذا؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

ولكن يا سمحون هذه هي حياتنا فلن تستقر حياتنا مادام لنا الأهداف الكثيرة هذه وما دام الصراع بيننا وبين هؤلاء الناس لم ينتهي ، فنحن نتعامل مع أناس لا يتراجعون ولا يستسلمون أبداً ، فكم نفذنا فيهم الكثير من عمليات الإبادة والتطهير العرقي لكي نقضي على هؤلاء ولكنهم أثاروا علينا العالم كله بنعرتهم التي لا تكف عن الصياح في كل الهيئات والمحافل ، ولولا ذلك لما كان معنا من شركاء في الوطن يكدروا علينا عيشنا ويظلموا ليلنا الذي أشعلناه بدمائنا وأشلائنا

ولكن يا سمحون لقد كنت في السابق مثل هؤلاء الناس العزل ، فكنا في صبانا نرى "هتلر" يحرق ذوينا ومن كانوا معنا من بني جلدتنا في المحارق ويمثل بجثثهم حتى يقضي على من تبقى منا لولا من كانوا لنا في مصر والمغرب وباقي الدول التي فعلت ما بوسعهم وضحوا بالغالي والنفيس لإقامة دولتنا الكبرى ومملكة داود التي تمتد من النيل للفرات ، ولكننا نطلب ملك غيرنا وأرض من سكنوها لمئات السنين ، فتلك هي عقيدتنا وهذه هي مملكتنا مملكة داود الذي ملك وحكم نصف الكرة الأرضية ومن بعده سليمان ، ولكني أتعجب من هذا

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الشعار الذي رفعناه لنجمة داود ورموزه وما تركه ونسينا أصل عقيدتنا وجدنا وهو إبراهيم الخليل وإسماعيل حتى نسينا إسحاق ويعقوب وحتى موسى من صنع لنا المجد وعلمنا الحرب وحررنا من فرعون وجنوده ، فدائماً ننسى الماضي ونلطخ ما هو أفضل في تاريخنا ، فكم سنحتاج من وقت حتى يكون لنا عراقة ونفس المجد الأثيل الذي يعيشه العرب أتباع "محمدٍ " ، فلابد من حب وطننا ونفعل ما فعله أصحاب الأديان التي كثر أتباعها وإني لأتساءل:

لماذا نحن أقل بشراً بين الناس؟

فالأديان التي جاءت بعدنا عددهم أكثر بأضعاف كثيرة مع أنهم بعدنا بآلاف الأعوام، ألا ترى يا غبي أننا تعرضنا لمؤامراتٍ عديدة وقتالٍ بعثرنا في كل العالم شرقاً وغرباً ،ولم نلتف حول رجلٍ واحدٍ ، ولكننا كنا قبائل شتى وفي بلاد متفرقة ولم نجتمع في بلد واحدٍ لأننا كنا اثنا عشر سبطاً حتى إننا سكنا الكثير من البلاد حتى لا نكون معاً ، فبغضنا لبعض فرق بيننا وشتتنا وأذاقنا سوء العذاب ، كما فعلنا مع هؤلاء العرب لضعفهم وتفككهم وتفرقهم ، فبعد انتهاء الخلافة الإسلامية العثمانية على يد محمد علي الذي سحب الكثير من الدول من تحت

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

بساط الحكم العثماني ، فقد أخذ مصر والعراق وليبيا ولبنان والسودان والشام وترك تركيا تتنازع مع روسيا وبعض الدويلات التي أخذتها مثل المجر والنمسا والبوسنة وكوسوفو وغيرها ممن كانوا تحت الحكم العثماني ، فهذه الخلافة لو استمرت لما كان لنا دولة ، لولا هذا الرجل الذي يدعى " محمد علي " فقد ساعدنا على أن نبني لنا دولة من الحضيض ، فقد كان هذا الرجل الذي طمع في تلك الدول لمن أهم الذين حفروا لدولة الإسلام قبرها في هذا العصر ،

فنظر إليه في تعجب وقال له:

مالي أراك تنظر وتحلق في هكذا؟

أتسألني ما فعلت تلك الدولة العثمانية لهؤلاء؟

أنا أقول لك :

لقد كانت الدولة العثمانية من أقوى الخلافات الإسلامية ، فقد امتدت تلك الدولة لجبال الألب في فرنسا وأخذوا المجر والنمسا وهزموا الدولة البيزنطية بل وأخذوا القسطنطينية التي كان من المستحيل دخولها وكان من قادتها العظماء ، مثل محمد الفاتح وسليمان القانوني وأرطغل وعثمان ابنه

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

وغيرهم ممن انتصروا على روسيا لأكثر من مرة وكانوا على وشك من دخول روما ، حتى إنهم فرضوا الجزية على أمريكا والصين وهزموا التتار بمساعدة بيبرس في مصر وقضوا على بقايا الحملات الصليبية ، وفي سنوات لا تقاس من عمر البشر واستطاعوا فرض هيمنتهم على العالم كله حتى إن السفن العثمانية إذا مرت بجوار الدول التي ترفع الصليب كانوا لا يقرعون أجراس الكنائس احتراماً لهم وهيبة منهم ، فإننا نخشى أن يكون لنا نهاية كما وعد دين الإسلام أتباعه ، بأنه لن تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، وأن هذا الذي نحن فيه هو نهايتنا والقضاء على دولتنا ولا رجوع لها، فقال له:

أتظن ذلك يا سمحون؟

ولكن علينا بتوطيد العلاقات هنا وهناك مع معظم الدول ونزرع جذورنا في كل العالم حتى يؤول العالم لواحد من أولاد داود وهذا يحتاج منا لجهد كبير وطاقة جبارة لا تنفذ ولا تنقطع ، فهيا أيها الرجل الذي فقد أثمن ما ملك وأغلى ما أحب ، هيا لا تستسلم للدعة ولا للكسل كما فعل هؤلاء القوم المساكين ، فالدينار عند المسلمين الآن أعز عندهم من دينهم

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

ومقدساتهم ، والواقع يقول ذلك، فها نحن أخذنا ما ادعوه من مسجدهم الأقصى الذي قالوا عنه أنه أول القبلتين وثالث الحرمين ولم يَهُبُّوا لنصرته ولم يفزعوا لأجل إخوانهم في فلسطين ، وها نحن وطئنا بأقدامنا وبنعالنا هذا المسجد ولم يحرك لهم ساكناً ، إنهم يشجون ويستنكرون ويتظاهرون دون حراكٍ جماعي من جيوش بلادهم ، آهٍ لو فعلوا ذلك لما قامت لنا دولة ولا قائمة ولكنهم يلومون حكامهم وقتئذٍ فقد كانوا في شغلٍ دائم مع النساء والخمر والحفلات والسمر واللعب ومسابقة الخيول ومداعبة الجواري والأطفال، (فما ضاعت أمة إلا بضياع حكامها)، هكذا كنا وسنكون بعَدْلِنا وحبنا لبعضنا والتفاني من أجل الوطن وأن نضع مطامعنا وأحلامنا تحت الأقدام في سبيل إقامة دولتنا الكبرى وما نريده من مجدٍ أثيل وحلم قد حلمنا به على مر السنين.

-وصل رابين إلى سمحون في مكتبه الذي يدير من خلاله شؤون الاستخبارات ، فدخل عليه ووجهه لا يأتي بخير، فقام من على كرسيه وقال له:

لماذا تأخرت يا رابين؟

أنا منتظرك منذ خمس دقائق

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

فقال له رابين:

وهل خمس دقائق تعد تأخيراً يا سمحون؟

فوقف سمحون وطرق بيده على المنضدة وقال:

إن الوقت الذي تتكلم عنه لهو كل شيء لنا ، فنحن لسنا كغيرنا لا يهمنا الوقت ولا الأرواح أو مبدأ من المبادئ ، فقد شيدنا هذه الدولة على العدل والمساواة ومنح الوطن كل قطرة دم من أرواحنا وكل لحظة من وقتنا ، فلا وقت لدينا لنهدره أو لنضيعه ، فسنجعل من تلك الصحراء القاحلة بساتين ومصانع وجنة بها كل ما نحتاجه وسيكون لنا أكبر شأن هاهنا .

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

القرود في بلد النمرود
سيد أحمد أمين

الفصل الثالث:

رابين

- سمع رابين كلام سمحون ولا يتفوه بكلمة أو يرد عليه بل شرد ذهنه فيما يقول واسترجع ذاكرته ليتذكر ما كان في الماضي من إذلال وسجن ولا سيما بعدما خرج من السجن وهو في الأربعينات من عمره ليجد نفسه لم يتزوج بعد ولم يكن له من طفل يدلله أو زوجة يداعبها ولكنه وجد نفسه بين أزقة الطرقات تتلقاه ، وبغض الناس يعانقه ، ومن بلد إلى أخرى حتى كانت هذه الدولة ،

فقال سمحون لرابين قائلاً:

يا رابين ؛ يا رابين ، فالتفت إليه رابين وقال له:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

نعم أنا أسمعك جيداً ، ولكنني تذكرت تلك الأيام الخوالي، فعندها يتوقف عقلي عن التفكير وأكون في عالم آخر ،

فقال له سمحون وهو يتنقل في الغرفة كالفأر الحائر:

هون عليك يا صديقي ، فلقد ذقت الأمرين.

العرود في بلد النمرود
سيد أحمد أمين
دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

سمحون

-تحدث سمحون بما لاقاه في الماضي ، فقد كان سمحون في ألمانيا وكانوا هناك أكثر من أي بلد آخر وكانت هناك النازية والنزعة العرقية فقد لاقى سمحون في صغره المعاناة الكثيرة من فَقدٍ لمن يحب وخاصة إخوته وأمه وقد تعرض للتعذيب في السجون حتى إنهم تركوا له على جسده الندبات الكثيرة وأثر التعذيب ، بل إن "هتلر" حاكم ألمانيا نكلّ بهم والقى الكثير منهم في المحارق بدعوى أنهم شر الناس في المانيا وأنهم من يعوقون طريق نصره ففقد سمحون جلّ أحبابه وأهله ، وأخذ يترنح بين هنا وهناك حتى حصدت الحرب كل شيء والتفّ سمحون ومن معه من الرجال والنساء وكل أفراد شعبهم الممزق ليصنعوا من المآسي فرحاً لهم ولتكون مصائب قوم عند قوم فوائد ، فاصطاد هؤلاء القوم في الماء العكر ليشيدوا من ركام شعب آخر شعباً لهم قد أُفعم بالحروب

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

والقتل والدمار وتشريد الأطفال وهدم المنازل على من فيها ومحو من في البلد هذه بكل سلاح مشروعٍ أو غير مشروع ، ليشيدوا أكبر بلد دموية على مجرى التاريخ ، فما عانوه هؤلاء الشرذمة الذين كانوا ُيتخطفون في كل مكان ولم يكن لهم مأوى أو أحد يهتم بهم ، صار لهم من يساعدهم ويمد لهم يد العون ويدافع عنهم في كل مكان من محافل دولية وهيئات لها كلمتها إلا على هؤلاء الأقزام الذين دنسوا المعابد وأحرقوا العزل من الناس بويلات الحرب المستعرة ليقولوا للعالم كله أننا كنا عند ما كنتم تحسبوننا ، فأنتم لم تخطئون بحكمكم علينا عندما فعلتم بنا ما فعلتم ، فقد ثبت للناس جميعاً أن هؤلاء الناس ما هم إلا حفنة من المستعمرين الذين عاثوا في الأرض فساداً .

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

سارة

فتحت سارة مذكراتها لترى ما كتبته في الماضي عن نفسها وما عانته في حياتها الأخيرة عندما تركت كل ما تملك في روسيا وأجبروها على الهجرة عنوة لهذه البلاد رغم أنها كانت منعمة وتعيش في سعادة فهي تركت روسيا أثناء الحرب العالمية ورحلت لسوريا وبعد الحرب عادت لوطنها الأول ، فما فقدت من أحد سوى أمها ، فقد ماتت بحمة لم تمكث معها سوى ثلاثة أيام ورحلت ، أما هذه الرحلة كانت شاقة ومتعبة ونزفت من خلالها كل ما تملك في روسيا ، فتركت منزلها التي عاشت وولدت فيه وتركت ذكرياتها هناك وأكثر أمتعتها لتأتي في الوطن الأم الذي حلموا به منذ زمن والذي تقول لهم عنه اسطورتهم أنه خير وطن وخير أرض .

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

رابين

عاد رابين من لقائه بسمحون ودخل على سارة ليجدها تهيم في مذكراتها وتستلقي على ظهرها وقد أغمضت عيناها ، فدخل رابين إلى غرفته ولم ينظر إليها حتى أو يكلمها وهي لم تعره أي انتباهٍ ، ودخل الغرفة التي يحب المكوث بها جلّ الوقت ليجلس بين وريقاته التي رسم عليها عدة أشكال هندسية وأخرى استراتيجية، ثم تكلم في الهاتف لعدة دقائق مع مسؤول في الدولة ليناقش معه مستجدات الأمور ومر الوقت على رابين كأنه ساعة من حديد تتحرك فيومه به من الطول والكآبة ما يكفي لآلاف الثكالى واليتامى ، فتأتيه سارة بكوب من الشراب وتجلس أمامه قائلةً:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

متى ستنتهي من تشييدك لتلك المؤسسة التي ستجعل شعبنا يواجه كل العالم وخاصة من يعادوننا بسلاح لم يسبق استخدامه من قبل؟

فقال لها رابين:

في القريب العاجل يا عزيزتي ولكن هذا السلاح لابد له من متخصصٍ وعلى درجة من العلم البيولوجي ، فنحن نستخدم سلاحاً أقوى من المفاعل النووي الذي نملكه ولم نستخدمه إلى الآن

فقالت له سارة وهي تهز رأسها:

نعم فالحرب البيولوجية من أخطر الحروب الآن ، فبها سنجعل أعدائنا يتجرعون أشد العذاب ،

فقال لها رابين وهو يبتسم:

نعم يا سارة ، لقد قتلوا منا الكثير ونفونا وأبعدونا عن أواطننا لأعوام عديدة وحروب حصدنا فيها الخيبة والعار والكثير من الزعماء والأحباء.

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الفصل الرابع :

يوسف

أتي يوسف من معسكره ومعه أخته مريم ، ولكنهما كأبويهما لا يرعوان لأحد ولا يتأثران بعاطفة أو حسٍ مرهفٍ أو مشاعر فياضة بل دخلا المنزل وحيا كلاهما أبويهما و انصرفا لغرفتهما ، فمريم تنوي أن تلتحق بالجيش وكذلك يوسف يستعد لذلك فهو في معسكرٍ حربيٍ يعده لأن يكون ضابطاً ، فكل من ذهب لهذه المستعمرة من هؤلاء الشرذمة يريد أن يلتحق بالجندية وخدمة وطنه ، فلا أمل لهم ولا حلم لديهم سوى أن يرقوا بوطنهم ويجعلون منه أفضل وطن في العالم ولو على حساب طموحاتهم وأمنياتهم وما يحبونه من مواهب

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

، ولكنهم يؤثرون بلدهم ومستعمرتهم على أنفسهم وبنيهم ، ومن أجل ذلك صارت تلك المستعمرة أفضل دولة في تلك المنطقة فقد حولوها لبستان فسيح ومستعمرة بها كل وسائل العيش الكريم والنهوض بالفرد والمجتمع معاً ، فلا تقوم دولة بدون أفرادها ، فإنك إذا رأيت دولة تنعم في رغد العيش ومتقدمة فاعلم أن أفرادها كذلك في عيش رغيد وإذا رأيت دولة متأخرة وتفعمها الأمراض والفقر والجهل وكل مشاكل الحياة وساكنوها يثورون ويصرخون ويتوجعون فاعلم أن هذه الدولة ساكنوها يودون أن لو ولدوا في دولة أخرى وأن يخرجوا منها ولو غرقى في البحار وغرباء في دولٍ لأعدائهم ، فالدولة التي يستشري فيها الفساد والرشوة والمحسوبية والخمول والكسل وإلقاء المسؤولية على الآخرين ، وعدم التخطيط السليم ووضع من لا يستحق في مكان أكبر منه وإدخال الأمور في بعضها ، فكل ذلك يخلق دولة ضعيفة ، هشةً ، تستورد كل شيء من غيرها حتى رغيف الخبز التي تأكله ، وتستورد السلاح الذي من المفروض أن يجهل غيرها عن تسلحها أي شيء ، فمثل هذه الدولة يعاني أهلها من الفقر والأمراض الخبيثة وأطفال الشوارع والأرامل المتسولة

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

والمعاقين الذين لا يجدون من يرعاهم ويوظفهم في عمل يتماشى مع عجزهم في مثل هذه الدول المتدنية يُنفق على التفاهات الكثير والملايين ، فما ينفق على الرقص والتمثيل والغناء والحفلات ولاعبي الكرة والمسارح ودور السينما ، وما ينفق على الرؤساء والوزراء من سيارات وبنزين واستقبالات وتشريفات وخدمٍ وحراسه وغير ذلك ، فكل ذلك لو أنفق على التعليم الصحيح الذي لا يعتمد على الدروس الخصوصية والكتب الباهظة والإهمال الذي يباري كل إهمال سواه ، ولو أنفق على تعمير الصحراء وتشييد المصانع وتشجيع البحث العلمي ومحاربة الجهل والمرض والبطالة بكل وسيلة ممكنة وغير ممكنة لكنا في ركاب الأمم ولسبقنا العالم بأسره ، فنحن نمتلك الأيدي العاملة الفتية فلدينا من سن العشرين إلى الأربعين العدد الذي يعمر الولايات المتحدة الأمريكية ، فكما فعل "كريستوفر كولومبوس " مكتشف " أمريكا " عندما أراد أن يعمر أمريكا جلب الكثير من الأفارقة واستعبدهم ليعمر بهم أمريكا ، فليست الثروات هي التي تنهض بالأمم ولكنها تنهض بسواعد أبنائها وعقولهم وما ينتجونه من تراب وطنهم.

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

-إلتفت يوسف نحو مكتبته ليمسك بيديه التي تشبه شوكة رافعة الحديد كتيبٍ وينظر إليه في تمعن ثم أخذ يقرأ كلماته الرثة وهو لمستشرق أمريكي يتكلم فيه عن الحرب الفاصلة بينهم وبين العرب وأن اسمها " أر مجدون" أو " مجيدو"، ومجدون هذه تقع في فلسطين شمال تل أبيب ، ويقرأ تفاصيل الكتاب ، فيجد دولتهم على وشك الانهيار وأن بهذه المعركة ستنتهي دولتهم مع الشيطان ومع " يأجوج ومأجوج" والدجال "

فقال لنفسه:

هل تساوينا بهؤلاء؟

سحقاً على تلك الدولة وما نفعله من أجلها ، فأنا أشم رائحة السقوط منذ أن اغتصبنا تلك الأرض وفعلنا في هؤلاء الناس ما فعلناه من جور وظلم وقتل وخراب ، ولكني أحس أن هذا ليس بعد فحال العرب لا يسر وهم يبتعدون عن أسباب النصر كل البعد والتقدم العلمي الذي نعيشه ويعيشه غيرهم ، فهذا يجعلهم لا يلحقون بنا ولو بعد مئات السنين فهناك الحواجز التي تمنعهم من اللحاق بنا أو سبقنا ، فهم أناس لا يفقهون

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

وإذا فقهوا لا يعملون وإذا عملوا لا ينتجون لحبهم الكسل والنوم والنساء والخلود للنوم والمتعة والخمر ومتع الحياة.

النمرود
في بلد النمرود
سيد أحمد أمين

مريم

-مريم تصغر يوسف بعامين ولكنها تكبره في عقلها وتفكيرها وهي من أصرت علي اللحاق بالجيش وشجعت يوسف على ذلك مع أنها في كلية الطب ، ولكنها تنظر لمستقبل بلدها لا مستقبلها هي ، فمن كان هدفه أكبر حقق المكاسب الكبرى فكما قال الشاعر:

(على قدر أهل العزم تأتي العزائم ..... وتأتي على أهل الكرام المكارم)

ولكن من كان هدفه الزواج ووظيفة وأن ينجب الولد ويمتلك سيارة ومنزلاً وبعض المال ، سيظل تحت الحفر ولن يتنفس هواء الكبار ولن ينعم بربيع العظماء ، وستظل هذه الدولة

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

التي يعيش على أرضها مثل هؤلاء الزهاد الذين تركوا العلم والرقي والنهوض ببلدهم ليستريحوا على المقاعد الفاخرة والأماكن المترفة ستظل تحت الدول ودون الدول ولن يقوم لها قائمة ولن تسود على نظرائها من دويلات أصبحت لا تشتكي من شيء سوى أنهم لا يجدون المعاناة أو المشاكل حتى يشعروا بلذة الحياة ، أما نحن فقد ملكنا الثروات الكثيرة من ذهب وبترول ومشتقاته وأيدٍ عاملة وتربة خصبة ومياهٍ جوفاء وبحار وأنهار وبحيرات شتى وآبار كثيرة ومصانع وقنوات وأموال طائلة ولا سيما دول الخليج الذين يملكون الكثير من الثروات والأموال حتى إن العائد السنوي لإحدى هذه الدول يكفي لإطعام وكساء وعلاج جميع فقراء العالم كله ويجعلهم يعيشون في رخاء ، ورغم ذلك فهذه "كاثرين أشتون" المتحدثة الرسمية باسم الاتحاد الأوروبي قالت:

(إن منجم السكري للذهب المتواجد بمصر يكفي لأن يجعل مائة مليون مصرياً مليونيرات ويسد ديون الاتحاد الأوروبي) ، فهذا منجم في مصر فما بالنا بمناجم الذهب العديدة في الخليج وآبار البترول التي تنفق على الرقص والدعارة المقننة والتحف واللوحات العالمية التي لا تزن عند الله جناح

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

بعوضة ، فيقضي مثل هؤلاء الليالي في أوروبا وفي بعض الدول العربية فينفقون الآلاف والملايين من الجنيهات على الراقصات وفتيات الليل وعلى الشذوذ والرذيلة والترف الرخيص المحرم ، ولا ينفقون على اليتامى والثكالى والمرضى وفقراء العالم المسلم وغير المسلم ولو واحد على ألف مما ينفقون في الوجوه الأخرى التي لا تعود عليهم إلا باللعنة والخزي والعار والنقمة وغضب الجبار سبحانه ، ولكن كما قال الشاعر:

(لقد أسمعت لو ناديت حياً **** ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارٌ نفخت بها أضاءت**** ولكنك تنفخ في الرماد)

- لا يهنأ العالم العربي بما لديه من خير وثروات ونعمة على طول الزمن وسيأتي اليوم الذي يتبدل الحال ، فكما شاهد العالم العربي تقلبات من ضيق إلى فرج ومن هزيمة إلى نصر ومن فقر إلى غنىً مطغي فسيتحول هؤلاء الفقراء الذين يتسكعون في أزقة الإيدز والأنيميا والعراء والجهل والموت جوعاً بسبب الجفاف والقحل وعدم الموارد الطبيعية والصناعية إلى شبع ونعمة بالغة وعطاء كبير ، فها هي أثيوبيا تتحول لبلد زراعية كبيرة ويتسابق من أجل إعمارها

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الكثير من البلدان وجنوب أفريقيا تصبح قطعة من أمريكا وسيعلم الذين طغوا ونسوا أي منقلب ينقلبون.

-سارة كأمها فقد ورثت ما تحويه أمها من غرور وعنترية كاذبة وخيلاء بما تحمله من شارات والدها وما تسمعه عن أمجاده الزائفة التي تشبه عفن الخبز ، فتراها تنظف في وجهها الذي يتكون من ملامح مطلسمة تحتاج لشفيرة خاصة لتعرف هل هي امرأة أم حيوان ، فأصولها ترجع للهنود الحمر ذوي الملامح النكراء ، فدائماً تحدثُّ نفسها عن ما هي فيه من منزل لا يكسوه الدفء والحنان ، بل الصراع والصراخ والنزعة الخنزيرة التي ورثوها من ءابآءهم ، فقالت لنفسها:

لماذا ولدت هكذا؟

أنا لست سعيدة في حياتي ، فالناس تبغضني ولا يحبون مصاحبتي لأن أبي كان سفاحاً ووجهه كمصاصي الدماء، أنا لست راضية عن نفسي ولا أسرتي ولا هذا الوطن المزيف الذي صنعناه فلا هو موطن أجدادنا أو لنا فيه ذكرى لحياتنا ، حتى الأطفال الصغار ليس مسموح لهم باللعب كباقي أطفال العالم ، وهذا لأننا نخاف من هؤلاء الذين اغتصبنا أرضهم وقتلنا أطفالهم هنا وهناك في القريب وفي البعيد ، فكيف لنا

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

بحياة سعيدة ونحن نختبئ كالفئران في الجحور خوفاً ممن عشنا على أرضهم وأكلنا خيرهم واستعمرنا كل ما لهم من ذكريات ومعابد وتاريخ ،

فهل هذه حياة السعداء التي نحياها؟

وهل هذا المجد الذي كنا ننتظره ووعدنا به؟

أم تلك أضغاث أحلام؟

(إن كل أرض لم تعش فيها ولم يكن لك الذكرى التي تأتي على خاطرك فيها الذكريات لهي أرض الشيطان)

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الفصل الخامس :

رابين وسارة

-رابين تأتيه مكالمة تلفونية من رجلٍ اسمه ديفيد ويستدعيه للذهاب إليه وينهي المكالمة معه ولكن سارة تسأله من الذي كان يحدثك هاتفياً؟

فقال لها رابين:

إنه ديفيد وزير الأركان يستدعني لأمر مهم حدث في الدولة ،

فقالت له سارة:

وما هذا الأمر؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

فقال لها رابين وهو ينظر من فوق نظارته العجيبة في حمقٍ :

أنا لا أدري ، وسأعلم منه وأخبرك عما قليل ،

-ارتدى رابين ملابسه العسكرية التي قلما ينزعها من على جسده وارتدى قبعته وخرج من المنزل في عجلٍ وركب سيارته وذهب وهو يحدث نفسه :

لقد اقترب اليوم الذي ننتظره منذ سنوات فكم حلمنا بذلك اليوم ، سنأخذ تلك الأراضي التي بالجوار في هاتين الدولتين وسنسترد ما وعدنا به منذ آلاف السنين وستكون لنا السيادة على كل من حولنا من هؤلاء الجهلة الذين اغتصبوا أرضنا وسلبونا كل ما نملك من تاريخ كبير وآثار عظيمة لأجدادنا العظماء ، فكرة الأرض تدور، فظلام ثم نور هكذا تكون الدنيا ، فقد صبرنا على ذلنا واضطهادنا وما فعل بنا لأكثر من ألفي عام ، وهذا لأننا كنا نبغض بعضنا ونقتل أنفسنا ونتكبر ونتعالى على من كانوا ينصحوننا ويقدمون لنا الهداية والرشاد ، فلو أننا سرنا على خطى هؤلاء الأطهار لكنا سادة للعالم على طول الطريق ولكان ديننا هو السائد على الدنيا كلها ولأصبح من كثرتنا يهابنا الناس ولكننا سنبني كل ما

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

وقع ونجعل كل الدول تدين لنا وتقدسنا وتفعل ما نقول لهم وذلك بنفوذنا وبما نملك من بنوك عظيمة واقتصاد شامخ لا يتزعزع ، فقد سيطرنا على العالم بالديون التي أثقلت كاهلهم وبما نملكه من أدوات في أُمِنا أمريكا والدول الكبرى الداعمة لقضيانا ، فنحن زرعنا داخلهم حب هذه المقدسات التي نمتلكها وجعلنا كتابنا هو أصل كتابهم حتى أصبح كلاهما واحداً ، مع أننا نقول أنهم ليسوا على شيء وهم يقولون كذلك ونبغضهم ويبغضوننا ولكن بغضنا لهؤلاء العرب أشد ، فقد اجتمعنا على كلمة سواء وهو أن نبيد وندمر هؤلاء وننزع كل معتقداتهم من جذورها ، أو نجعلهم يعيشون بلا هوية أو دين بمعنى أن يكون للدين الاسم والفعل يختلف ، فمن مخططنا أن نمزق كتابهم في حياتهم ، فلا يعمل به ولا يطبق عليهم ولا يقرأ ولا يسمع وذلك بشغلهم بالأغاني والمسلسلات والأفلام والمسارح وبالموضة وبما ينقصهم من علم وصحة ومال ، وأن نعري نساءهم فلا يحبون ستر أنفسهم ونقنعهم بحرية المرأة وبتحررها من عبوديتها ، فتخرج للكسب بشتى صوره وللتعليم وللملاهي ولسوق العمل لكونها رخيصة عن الرجل فتعمر ساحات المحلات والمصانع

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

بدلاً من الرجل ونستخدمها في الدعارة ومعارض الأزياء ودور السينما والمسارح وكل مناحي الحياة ، فلا تتفرغ لولدها ولا لزوجها ولا لنفسها حتى ، وتعيش بملابسها الضيقة التي تشبه لباس الرجال في الحانات والملاهي الليلية وفي أحضان الرجال ، وسنخرج الشباب من دينهم ولن يدخلوا في ديننا فليس لهم الشرف في ذلك وذلك بتقليدهم شباب أوروبا ومن يغني منهم ومن يرقص منهم وسنجعلهم يلهثون خلف شاشات التلفاز ولاعبي الكرة وسَنصَعّدُ كل ممثل ومغنياً وراقصة حتى يكون الحب والتبعية والقدوة لمثل هؤلاء ويكونوا أسوةً لهم ومنهم يأخذون دينهم وعاداتهم وتقاليدهم وسيرهم وكلامهم وكل ما يفعلونه ، فتضيع كل معالمهم ولا يذكروا تاريخهم القديم ومن كانوا بالأمس من يُحتذى بهم ويُقتدى بهم ، فيستيقظون على ماضٍ ولى ومضى واندثر تحت أقدام التحضر والمدنية والتقدم والتحرر والتقليد الأعمى الذي سنصنعه لهم ، وسنبذل كل جهد في فعل هذا بالمال وبالجهد وبكل رجالنا ، حتى نملك زمام هذه الدول ويكونوا طوع إرادتنا طوعاً أو كرهاً لأن المستقبل لنا وحدنا ولا شريك معنا فيه إلا من ساندونا ودعمونا بقوتهم

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

ومساندتهم ورغم ذلك لا نأمن أحداً ولا صديق لنا إلا من كان على ديننا ومن بني جلدتنا

ديفيد

-انتظر ديفيد في مكتبه رابين ، فنظر في ساعته مرة وسار أخرى ثم جلس على مقعده لينظر إلى الوادي الفسيح من النافذة وذهنه يهيم في هذا الوادي ويتخيل أن هذا الوادي أصبح به ملايين الناس ولكن من بني جنسه ودينه ، فتظهر له في الأفق البعيد وفي حلمه الذي يدور في مخيلته أن هدا المكان صار به من المنازل الكثير وتبدل الرمل إلى زرع وحدائق ومعسكرات لهم ، وأن كل المستعمرة تحولت لمصانع عملاقة ومزارع لجميع أنواع المحاصيل والفواكه ، فهم رغم قلة عددهم وضعف بنيتهم إلا إنهم يريدون المساحات الشاسعة وما حولهم من أراضي يملكها أصحابها من آلاف السنين ، ولكنهم يطمعون في المزيد بدعوى أن أجدادهم سكنوها من قبل ويقولون عنها مقدسة بزعمهم مع أنهم

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

سفكوا عليها الدماء وقتلوا عليها الأنبياء وهجّروا من مكانهم بعض الرسل من بني جلدتهم ، فهؤلاء القوم الأقزام سكنوا في الأصل تلك البلاد وكان لهم بالفعل ماضيهم العريق وأرض أجدادهم ولكنهم لما تركوا هذه الأرض وذهبوا للأرض التي كان من حكامها يوسف عليه السلام وتركوا هذه البلد واستقروا فيها ولم يندمجوا في الناس الذين عاشوا معهم بل تقوقعوا على أنفسهم ولم يختلطوا بغيرهم وقالوا أنهم أبناء الرب فتبدل الحال وجاء من يحكم هذه البلاد بحكم مختلف وكان يدعي هو الآخر أنه الرب نفسه فأذاقهم أشد العذاب واستعبدهم وسخرهم لخدمته إذلالاً لهم ، حتى جاء من قتّلَ أبناءهم واستعبد نساءهم وأذاقهم أشد العذاب حتى إذا أتى من يأخذ بيدهم وينتشلهم مما هم فيه من الذل والعبودية تمردوا عليه وعصوه ، ولما عبر بهم إلى شاطئ النجاة والعز وهلك من كان يستعبدهم ويقتلهم وأخذ يأمرهم ببعض الأشياء لم يرى منهم سوى الكذب والخداع والعناد والتكبر والجحود ونكران الجميل ، بل عندما قال لهم إذا أردتم أن تدخلوا بلدكم القديمة فهيا استعدوا وتسلحوا ، وأخذ يدربهم على فنون القتال وأعدهم للقتال ، ولكنهم عندما وصلوا إلى

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

مشارف هذه البلد فقالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون وأبوا دخول هذه البلد لأنهم جبناء ولا يستطيعون مجابهة العدو وجهاً لوجهٍ ، ولا يقاتلون إلا من خلف الحصون والجدران لأن التاريخ أثبت جبنهم وأنهم أجبن من أن يأخذوا حقهم .

سيد أحمد أمين

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

رابين وديفيد

-دخل رابين على ديفيد فتهلل وجهه وقام له فصافحه بحرارة وببسمة صفراء تشبه بسمة الليث الغضوب ، فجلس رابين وهو يتنفس الصعداء ، فقال له ديفيد:

مرحباً بقائد العمليات المخضرم وصاحب الرأي السديد مستر رابين ، فنظر له من نظارته وابتسم له قائلاً:

نحن في شغف لتلقي التعليمات منك دوماً فأنا أشتاق لما تكلفنا به من عمليات ضد أعداءنا في كل مكان،

فأخذ ديفيد ينظر لرابين وهو يبتسم دون أن يظهر نواجذهُ وقال له بصوت منخفض:

عزيزي رابين لقد دعوتك اليوم لتقوم بمهمة جديدة فقد افتقدت عملياتك الشيقة، فقال له رابين:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

يا مستر ديفيد أنا طوع أمرك وعلى أتم الاستعداد دوماً فنحن فدى أوطاننا فنحن رفعنا راية الحرب ولن نخفضها أبداً ما بقيت أرواحنا في أجسادنا ،

فقال له ديفيد وهو يبتسم:

وهذا ما نرجوه من كل فرد في الوطن ، فنحن نعلم أن كل فرد هنا لا يتمنى في حياته سوى خدمة الوطن

،فقال له رابين:

ولكن لم أعرف ما سأقوم به يا سيدي

فقال له ديفيد:

مهلاً عزيزي رابين ، فأنا سأخبرك بكل ما أحتاجه منك ، أما إنك في عجلة من أمرك ولا تحب مجالستي فسأقول لك،

فقاطعه رابين وقال له:

لا يا سيدي أنا لم أقصد ذلك ، فأنا أشتاق لمقابلتكم ، وأنا أحب المكوث في حضرتكم ،فقال له ديفيد:

ولكن على كل حال سأخبرك، ثم أمسك بالقلم وفتح وريقاته ونظر لرابين نظرة طويلة وقال له:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

ستبعث رجالك في بيروت لقتل هذا الرجل المصري الذي تحدثوا عنه وقالوا أنه شطح في مجالٍ ننفرد به وحدنا وعرضنا عليه العمل لدينا فرفض ، ولكن حياته الآن انتهت ، وستجدونه في هذا العنوان! ويتردد على هذه الأماكن وهذه صورته ، أريد منك أن تخبرني بمصرعه في أقرب وقت

فنظر له رابين وقال له:

وهو كذلك ، سأنصرف وأبعث رجالي على الفور لتنفيذ هذه المهمة ، ثم قام رابين ونظر لديفيد وهو يلملم وريقاته قائلاً له:

أتأمرني بأي شيء آخر يا سيدي؟

فقال ديفيد:

لا ، هيا انصرف وأنا في انتظار مكالمتك لي ، فحيَّ رابين ديفيد وذهب في عجلة وامتطى سيارته وذهب لمكتبه وعندما وصل هناك استدعى رجاله ليحضروا إليه ، وهؤلاء الرجال هم:

(إبرام وإسحاق وكهين)

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الفصل السادس :

إبرام وكهين وإسحاق

-إبرام وكهين وإسحاق هؤلاء الثلاثة من عصابات أمريكا فقد كانوا يعملون مع من أسسوا هذه الدويلة فقد قاموا باغتيالات عديدة ومؤامرات على بعض الدول والأفراد وهؤلاء الثلاثة من هؤلاء العصابة المؤسسة لدولتهم ، فمثل هؤلاء الأقزام نقدوا العهود وعادوا نبي الإسلام فقد أرادوا قتله بالسم ومرة ألقوا عليه صخرة ومرة بالكيد والخذلان وتأليب القبائل عليه ولكن الله نصر رسوله عليهم وأجلاهم من المدينة وأعمل فيهم القتل والإبعاد جزاء لما فعلوه من محاولة لقتله ونقض

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

معاهداته معهم ومن وقتها انتشر هؤلاء الأقزام في بلاد شتى وفي حضن الإسلام أيضاً فسكنوا مصر والمغرب وفلسطين وبلاد أوروبا ، ولكن الفتوحات الإسلامية كانت تحتضنهم ولا تجور عليهم وذلك لأنهم كمنوا في أوقارهم التي تشبه أوقار الثعابين وذلك لمعرفتهم أنهم قلة وغثاء وقد بعثروا في أنحاء الدنيا ، ولكنهم كمنوا ودبروا المكائد على مدى التاريخ ضد حكام المسلمين وأمراءهم وحكامهم ، فعبد الله بن سبأ كان منهم هذا الذي كان يلقب بإبن السوداء هذا الخبيث الذي قتل هو ومن معه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومن ساعد حملات الصليب على المسلمين سوى هؤلاء؟

ومن أشعل نار الحرب العالمية غيرهم؟

فهم الذين استفادوا من هذه الحرب ومن تبعاتها ، وهم الذين قتلوا آخر خليفة إسلامي في تركيا وهو عبد الحميد الثاني لرفضه الموافقة على منحهم هذه الأرض ، فلم يقر لهم بال ولم يهدأ لهم حراك إلا إذا أخذوا ما يريدون.

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

رابين وإبرام وكهين وإسحاق

-يلتقي رابين بهؤلاء الثلاثة الذين يشبهون ورق الشجر المتهالك فخططوا لما سيفعلونه ، ولكن كوهين قاطعه قائلاً:

يا سيدي هذه المرة السابعة التي نقتل فيها رجلاً مصرياً فقد قتلنا (سميرة موسى عالمة الذرة وجمال حمدان عالم الجغرافيا ومصطفى مشرفة عالم الفيزياء وسمير نجيب عالم الذرة ويحي المشد عالم الذرة أيضاً وسعيد السيد بدير هذا العالم في الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية) ، فقال له إبرام:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

وكلما ظهر من يتفوق علينا ويكون شوكة في عضدنا سنغتاله ، ولكن إسحاق كان يخالفهم الرأي فقال لهم وهو يقترب منهم بأنفه الطويلة وأسنانه التي تكاد تخرج من فمه:

يا سادة كيف بنا لو تركنا من يكون هكذا حتى نأخذه ونسخّره لخدمتنا نحن فقط ثم ننزع منه ما نحتاجه من معلومات وأبحاث وعلوم ثم نقتله ، فقال لهم رابين:

قضي الأمر وعلى كل حال فنحن نملك من هم أفضل منهم ولكننا نريد أن يفتقر هؤلاء القوم رعاة الغنم للعلم والعلماء ويظلوا في جهلهم يعمهون ، هيا انطلقوا وسأنتظر منكم مكالمة هاتفية أو رسالة تطمئنونني بها وعلى كل حال فسأعلم من غيركم ماذا فعلتم.

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

محمود سلطان " الثعلب"

-هو محمود سلطان أو ثعلب المخابرات المصرية أو الرجل الأصلع كما أطلق عليه وهو من قام بعمليات تفجيرية كثيرة وشارك في جمع المعلومات الكثيرة للجهات المصرية ، وقد وكل بهذا العميل المصري الكثير من المهام المخابراتية التي أدت لنصر مصر ولكن هؤلاء الأقزام لا يتركون مثل هذا البطل هكذا فيحاولون النيل منه ولا سيما وأنه يعرف أغلب جواسيسهم ، فمن أجل ذلك ذهب هؤلاء الثلاثة ليغتالوه ، ويتحرك محمود سلطان كعادته كالثعلب في شوارع بيروت فهو ليس من السهل النيل منه فمن يدخل هذا المجال من

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

العمل لا يغمض له جفن أو تقر عينه لحظة بنوم ، فلو غفل ساعة في العراء لنهشته الكلاب ولكنه يتجول في حظر ويقظة على طول الطريق ، فمحمود دائماً ما يقول لنفسه:

لن أتخلى عن واجبي حتى تخرج أنفاسي الأخيرة ، أو النصر ، وقتها لا حساب علي ولا عتاب علي ، فأنا كم فقدت من أصحاب وأقارب في حربنا مع هؤلاء الأقزام ، ولقد قتلوا أخلص صديق لدي وكان ضابطاً في حرب (67) فكم كانت تلك الحرب ظالمة ، لقد ضربونا بمعاونة الخائنين الجبناء ، فها أنا في الأربعينات من عمري ولكني لن أتوانى بالذود عن أوطاننا وعن أرضنا ، حتى ترجع لنا كل ذرة رمل أخذوها عنوة وفي غفلة منا ، ماذا حدث لك يا محمود؟

هل الهزيمة كسرتك؟

أم كل المجهود الذي حدث وبذلناه راح ثدى؟

ولكني أرى رايات النصر ترفرف في قلبي وصيحات الهتاف تعلو في رأسي ، فقد دمرنا لهم في تلك الشهور القليلة (المدمرة إيلات والحفار وكبدناهم الكثير من الخسائر في الطائرات والأفراد)، وهذه الهدنة فرصة لأن نجهز خط دفاع

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

قوي ومدفعية عظيمة ونتسلح بما تسلحوا به من طائرات وغير ذلك ، ومع ذلك فالله معنا ، ثم أيضاً الحق معنا لأننا أصحاب الأرض ، فمصر من آلاف السنين هي مصر التي عاش بها الفراعنة أجدادنا وغير ذلك من مكوث المسلمين بها أكثر من ألف عام ، أفمن أجل حقبة قليلة من الزمن عاشوها في مصر صارت مصر تبعاً لهم وملكاً لهم، والله إنه لقول القرود ، ولكن لا نعيب عليهم ، فمثل هؤلاء الشرذمة الصعاليك لم يتسنى لهم أن يأخذوا ولو حفنة رمل من أرضنا ، فكيف بأرض كبيرة كسيناء ، هذه الأرض التي سار عليها الأنبياء وامتلأت بدماء الصحابة والأبرياء ممن تصدوا للرومان وحققوا الخير لمصر ، لقد مكثتم في مصر وأنتم عبيداً وتركتموها مع موسى وأنتم تفرون وتصرخون وبكم الخوف والهلع من فرعون الذي كان سيخلع قلوبكم ، تلك هي مصر أم الحضارات ومهد الرسالات السماوية وبها عبر إبراهيم الخليل وتزوج منها وبها كان عيسى ومريم وموسى ويوسف ، ونحن أحق بهؤلاء الأنبياء منكم ، لأننا آمنا بهم جميعاً دون أن نفرق بين أحد منهم ، ولا يصح إيمان أي مسلم دون أن يؤمن بكل الأنبياء كلهم جميعاً ، ولكنني رأيت

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الدوافع أكثر من ذلك لهم ، فهم يبحثون عن دليل يثبت لهم أمام العالم أنهم أصحاب أرض ، وسيقف معهم العالم وخاصة أمريكا وأوروبا لأنهم زرعوا فيهم الملة الثالثة للنصارى وهي "البروتستانت" وتلك الملة تعطي الحق لليهود في كل ما يعتقدون وصار لها الأتباع الكثر الذين يدينون بالمسيحية ويوالون اليهود حتى صار منهم الحكام الأمريكان وأعضاء الكونجرس والفاتيكان وخاصة لأنهم اتحدوا على المسلمين وصار الإسلام عدواً لكل الأديان وتحالف الكل على الإسلام وأهله من عبدة للبشر وعبدة للنار وعبدة للصليب والفأر وحتى من عبدوا فرج الرجل وفرج الأنثى من البوذيين ومن عبدة البقر الهنود ومن ليس لهم أي إلاه ليعبدوه حسب معتقدهم ، وصار معتنقي الإسلام وأهله يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها من الهند إلى السند ومن المحيط إلى الخليج وأصبح لحم المسلمين أرخص لحم ودماءهم أرخص دماء ، وصاروا لقمة سهلة في أيدي أعداء الإسلام وأهله بعدما كنا سادة للأمم وكانت لا تغيب الشمس عن ملكنا وكان يخشانا كل من في الأرض ويتمنون لنا الرضى ، وقتها كنا رجالاً بما تحويه الكلمة من معنىً ، فكنا نحب الموت كما

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

نحب الآن الحياة وكنا نملك الدنيا في أيدينا وليس في قلوبنا ، فلم نتمنى إرضاء النساء الحسناوات ولا الطعام على الموائد الكبيرة الطويلة ، بل كنا نعشق الموت لأنه سيوصلنا للجنة وكنا نشتاق للجنة وما وعدنا الله في قرآنه ، فمن أجل ذلك دانت لنا الدنيا وبسطت لنا الأرض بسطاً ،

ولكن يا محمود سنعود كما كنا وأقوى بكثير ، كيف ذلك؟

ونحن حديث عهد بالخلافة التي فقدناها ، فلابد لنا أن نحرم من العزة والكرامة الكثير من السنوات كما فعل مع بني إسرائيل لما أمرهم نبيهم بدخول فلسطين فامتنعوا وجبنوا فعاقبهم بأن يتيهوا في الأرض أربعين سنة ، حتى يتغير الجيل لجيل أفضل وحتى يموت مثل هؤلاء الضعفاء الذين شبوا على الجبن والخوف ، فيأتي من هو أفضل منهم ، وهكذا عاقبنا الله بهذه الهزيمة النكراء ، لأننا في ليلة الحرب كنا نشاهد الصور العارية للممثلين والممثلات ونسكر ونشرب الخمور وكان شبابنا يعكف على الحب في الحدائق ومشاهدة عبد الحليم وهو يقبل الكثير من الممثلات فكثر فينا الخنا والخنوع وتشبهنا بالنساء وبشباب أوروبا ، وليتنا تشبهنا بهم في أمرٍ يعود علينا بالنفع ولكننا تشبهنا بهم في قصات شعرهم

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

ولبسهم ورقصهم وما يعيشون عليه من غناء وموسيقى صاخبة ، فلو عدنا لربنا وأصبحنا رجالاً وعلى قدر المسؤولية وعلى قدر عظمة الإسلام لغزونا العالم من أقصاه إلى أقصاه ، حتى لو ملكوا أحدث الطائرات وأضخم الأسلحة وأمرها ، فها هو "هتلر" يقف أمام معظم أوروبا ولولا الخيانة والعنترية الكاذبة ما هزم ، فلابد من التفاؤل ولا سيما بعد أن جاء لنا "السادات" ، فإني أرى فيه الحنكة والحكمة وسياسة الأمور وليس الزعامة الكاذبة ولا الجعجعة المتغطرسة ولا الثورة التي تخرج من الأفواه الجوفاء ، فالحرب خدعة ويحلوها المكر والدهاء وكتم الأنفاس والسرية التامة وعدم الإنصات لأحد ، وعدم السير خلف من هم خارج البلد ، وعدم تشتت الجيش في حروب ليس لنا فيها ناقة ولا جمل ، إلا ليقول الناس عنه أنه الزعيم الأوحد والثوري الأمجد.

-دخل محمود الفندق ليلاً حيث يقيم ولكنه لم ينم أو يغيب عن الوعي لأنه لاحظ حركة غريبة ومريبة في المكان وخاصة عندما رأى هؤلاء الثلاثة الذين بعثهم رابين ، فهو يشم رائحتهم ويعرفهم من نظراتهم الخبيثة ومن ملامحهم

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

التي تشبه ملامح مصاصي الدماء ، فلقد وصل إبرام وكوهين وإسحاق في هذا الفندق وكانوا يعرفونه ، فهؤلاء وسادتهم يبغضونه بغضاً جماً، فقد أخذوا يراقبون غرفته عن كثب ومعهم من يساعدهم ممن يعملون لديهم في الفندق ، ولكن محمود سلطان أخذ حظره واحتاط لهم وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل فتحوا الباب بسهولة ودخلوا داخل جناحه ولكنه أعد لهم ما يسرهم ، فقد كان معه سلاحه الصغير وقبل أن يدخلوا عليه اختبئ تحت السرير وفي ظلام الغرفة وضع مكانه على السرير الفراش على هيئة رجل نائم وفجأة أشعلوا الأضواء ونظروا للسرير وما عليه ليحسبوه هو، ولكنه باغتهم بطلقات نارية في أرجلهم ليهووا على الأرض فضربهم في أعلى أجسادهم فقتلهم الثلاثة شر قتلة ويأتي الأمن والناس ليروا ما حدث فهي حالة دفاع عن النفس ، وسرعان ما يصل الخبر لرابين وسمحون وديفيد فاجتمع الثلاثة بأقصى سرعة ليعرفوا كيف حدث هذا.

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الفصل السابع:

سمحون وديفيد ورابين

سأل سمحون:

يا سيد رابين كيف حدث هذا؟

أليس هؤلاء الرجال الذين قتلوا وفشلوا هم رجالك؟

ألا نستطيع أن نقضي على هذا الرجل؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

فقال ديفيد:

لقد خيبت ظني بك يا رابين ، أيعقل ما حدث؟

فلقد أثرت الدنيا علينا حتى قال الناس أن الذين قتلوا هم منا وأننا نقتل ونغتال وأثرنا علينا الرأي العالمي بكل هيئاته ، فماذا نحن صانعون؟

فقال رابين وهو يحني رأسه خجلاً:

ما أملكه هو أن أعتزل العمل العسكري وأن أكون كأصغر جندي في الوطن أو سأرحل لو أردتم عن الحياة ،

فقام ديفيد وسمحون من جلستهما وتركا رابين بمفرده ورحلا وجلس رابين بين أفكاره ليجد ما يُكَفِّرُ به عما حدث وكيف يصل لهذا العميل المصري ويسترجع ما حدث معه في صغره عندما كان يقوم بعمليات أكبر من هذه بنفسه ويتذكر كم قتل من أفراد في شتى العالم وأنه ما خسر عملية قط ، وتدور في ذهنه أحداث مقتل أحد الناس وكان روسياً وكان به من البراعة والقوة الكثير ولم يتركه رابين حتى قضى عليه ، فقرر في نفسه أن ينفذ هذه العملية بنفسه ، فقام وخرج مسرعاً نحو الخارج ليلحق بصديقيه ، فاستقل سيارته

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

وانطلق خلفهما وبعد قليل لحق بهما ، فأوقفهما كأن أصابته مصيبة ، فوقفان له وقالا له:

ماذا حدث؟

ولما هذه الجلبة؟

ألا يكفيك ما حدث؟

فقال له رابين:

أنا يا سادة من سينفذ هذه المهمة ،

فضحك سمحون:

وقال:

وماذا تفعل بعد هذا العمر؟

يا عزيزي لقد وصلت بعمرك للخمسينات ،

فقال له رابين :

وهذا العميل تعدى أيضاً الأربعينات وما زال يدافع ويقاتل ويعمل كأنه في العشرينات من عمره

فضحك ديفيد وقال له:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

افعلها يا رابين واذهب لتنفذ هذه المهمة بنفسك ، فإما أن تقتله أو يقتلك ونرتاح من أحدكما ، وأخذ يضحك وقال لسمحون

هيا انطلق يا سمحون ، فذهبا سمحون وديفيد وتبعهما رابين ولكنه ذهب للمنزل ليجد سارة ويوسف ومريم في انتظاره وفي حزن عميق ووجوههم العابسة يتفجر منها الغضب والحزن ، فدخل وهو قاطب الجبين و يعلوه الهم وكآبة لم يروها منه قبل هذا ، فشاركوه ما به وقد التفوا حوله ، ليقولوا له :

ماذا تنوي فعله بعد الذي حدث؟

فلم يجب وتمادى في صمته حتى صاحت فيه تلك الزوجة البغيضة

وقالت له:

ما حدث يا رابين لم يخطر لأحد منا على بال ، لقد أصبت الشعب كله بالخيبة والعار ،

فنظر رابين لأسفل قدميه وهو قد جلس على مقعده ، فقال له يوسف:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

أنا لم أعد أفتخر بك يا أبي بعد الذي حدث ،

ثم قالت مريم:

وأنا كذلك لا أستطيع أن أذهب للجامعة خجلاً من رفقائي هناك ، فنطق رابين ورأسه ما زالت منكسة:

أنا سأذهب بنفسي لأنهي هذا الأمر ، ولا أريد سماع أي كلمة أخرى من أحدكم ، هيا دعوني وشأني ، فانصرفوا جميعاً من أمامه وتركوه بمفرده ليستعد للذهاب لمهمته المستحيلة ، فحاول النوم ولكن لا نوم ولا راحة بال ما دام محمود سلطان على قيد الحياة، فقرر السفر ليلاً ليذهب إلى بيروت.

محمود سلطان (الثعلب)

-ذهب محمود سلطان إلى فرنسا ثم عاد إلى بيروت في تحد واضح وشجاعة فريدة ، فلو كان أحد هؤلاء الأقزام مكانه لفرَّ واختبأ خلف الجدران والحصون ولكنه محمود سلطان

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الثعلب ، قابل محمود سلطان أحد رجال المخابرات المصرية ورسما للأيام القادمة ما يؤمن حياة الثعلب وعرف محمود بأن الأقزام سيبعثون من يقتله فاستعد لذلك ، ووصل رابين إلى بيروت في شكل مختلف ، فقد لصق على وجهه لحية وشارباً وارتدى رداء المسلمين ليخدع الثعلب ، ولكن الثعلب ومن معه لاحظوا فيه اختلافاً كلياً ، فوجهه ليس وجه متدين فسمته سمت رجل لم يسجد لله سجدة وتظهر عليه آثار الذنوب والمعاصي ، فنور الإسلام الذي يضئ وجه صاحبه لا يظهر عليه ، فنصبوا له الفخ الذي سيدفن فيه وأثناء الليل وقبل الفجر انساب الصمت والهدوء في المكان كله ولكن رابين خرج ليبحث عن غرفة الثعلب ، وبينما هو يبحث إذا بفتاة تدخل غرفة الثعلب أمامه ، فشجعه هذا على الدخول عليه بحجة أنه أخطأ في الغرفة ، ولكنه يجد صوت رجل وامرأة في وضع مخلٍّ ، فحسب أنه هو ، وتقدم بسرعة ليفتح الغرفة وفي يده السلاح الناري ، ولكنه وجد الغرفة خاوية وما بها إلا هذا الصوت فقط ، فنظر خلفه ليجد الثعلب ومعه صديقه ، فضربانه على رأسه وأخذا منه السلاح ثم حملانه وألقياه من النافذة ليخرَّ صريعاً دون رجعةً .

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

-خسر الأقزام أحد الذين عاشوا وماتوا من أجل وطنهم ، وسرى الخبر في المستعمرة ، وعلم كل أفرادهم بموت رابين.

العرود
في بلد النمرود
سيد أحمد أمين

سارة ويوسف ومريم

سارة وكلاً من يوسف ومريم يعيشون حزناً عميقاً على مصرع رابين على يد أحد الأعداء لهم فما أقسى ذلك على قلوبهم فقد فقدوا أحد المؤسسيين لدولتهم وأحد الذين ذاقوا في شوارع العالم وأزقتها أشد العذاب ، فتتململ سارة

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

ويوسف ومريم لموت رابين ، ولكنهم كالأفعى التي تغير جلدها ، فلا يتأثرون إلا قليلاً ، وكيف لقلبٍ وقف على رؤوس الأطفال ليساويهم بالتراب أن يتألم ، أو يصرخ ، فرفات الأموات لا يصير طعاماً للأحياء ، ولا أظافر الثكلى تكون سهاماً في قلوب الأعداء ، ففي كل يوم يعبر فيه البشر ركام عيوبهم لا يدركون أبداً نقص الأيام ، فهؤلاء لا يطلق عليهم إسماً بشرياً ولكن من السهل أن تطلق عليه:

إما ابن عُرسٍ أو سرطاناً خبيثاً ، فأسماء البشر لا تجوز لهم ، أرأيت عنقوداً لحجارة؟

أو غصناً لحديد ينصهر؟

فكيف يكون العقرب حملاً؟

أو أنثى الذئب تحلب لبناً ؟

عبارات تخجل من شكلها وأصناف لأناس لا تستحي أن تتغوط أمامهم ، لا لأنك لا تستحي ، بل لأنهم لا يظهرون في عينيك، أو صورهم لا تكون تحس أو تلمس ، كأشباح الجن الخفيُّ ، فهو كسرابٍ أو كبقع الزيت الداكن ، فتلك إذن الطامة الكبرى أن يكون هناك جسد العرايا يملأه الشوك ، فتلك بلاد

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الحمقى أنجبت من كل أنثى أيضاً أنثى كأنهم ما عرفوا أبداً سوى أرض الدماء ، أو لحن الحرب مع الأعداء ، فتتهاوى تلك الصيحات من جاءت برجل أحمق ، يورث بلد الجبار تلك الأقزام ، فيا ليتك لم تولد أبداً حتى لا تكون يهودياً ، تقتل ، تأخذ ، تسلب ، ولا تعرف غير التعذيب ، فهل ترى في حياتك مثل هؤلاء القتلة؟

بل أبناء الشيطان ، يقولون أنهم شعب الله المختار ولكنهم ليسوا من نسل نبيٍ أبداً ، ولا ينسبون أبداً لنبي الله "يعقوب" ، فلو كانوا فعلاً كما قالوا فهم أحفاد من سجنوا وباعوا يوسف ، هم من صُلبِ قتلةِ الأنبياء وحارقي الكتب المقدسة ، هم أحفاد الخنازير وقرود السبت الملعونة ، هم من (لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يصنعون) كلام رب العالمين ، فقد اصطادوا الحوت علانية وما راعوا كلمة ربهم ، أما قال الله في القرآن:

(فأولئك هم الكافرون ، فأولئك هم الظالمون ، فأولئك هم الفاسقون) فما ذكر القرآن من أحدٍ كذكر هؤلاء الحمقى ، لا لأنهم فضلوا على العالمين ، فهذا كان منذ الوهلة الأولى

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

عندما كان يوسف حياً ، ثم من بعده قالوا لن يبعث الله أحداً ، فارتدوا كفاراً وعصاةً وفي الأسر تحت الفرعون ، يستعبد من كان رجلاً ، أما الموت فللأطفال ، جزاءً وفاقاً ، فبعد التفضيل اللعن مكانه وبعد شقٍ اليم مسخٍ لقرود ، فكرامات تتبدل حسراتٍ ومعجزات لقتلٍ وكوارث وعقبات.

سمحون

استدعى سمحون ابن رابين يوسف بعدما واساهم ووقف بجانبهم حتى مرت تلك المصيبة لديهم فأتى يوسف لسمحون ، فيجلس يوسف أمام سمحون في صمت ، فقال له:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

يوسف لقد مات أبوك وهو يقوم بمهمة قومية في خدمة بلده وأنت تتشرف بذلك وتفخر بذلك رغم اخفاقه ، ولكنه كان بطلاً في نظر المستعمرة كلها ، وأنت من ستكمل مسيرته من بعده وتنتقم لموت والدك ،

فقال يوسف في حزن:

أنا بدون أبي أو ما حدث لأبي كنت أريد أن أكون من رجالكم ، فكم حلمت بهذا من قبل حتى إني دخلت المعسكر الحربي من أجل ذلك فحياتنا كلها لخدمة الوطن ، فمن أجله نعيش ونموت ، فلا عيش لنا بدون الوطن ، فله وبه نحارب ونناضل ،

فوافق يوسف على طلبهم وفرح لذلك أشد الفرح وسمحون تهلل وجهه الشيطاني وقال له:

هيا استعد لمهامك التي ستثقل كاهلك ، فمضى يوسف وترك سمحون بمفرده بين أوراقه ودفاتره الحزينة ليفكر في حل لما هم فيه وكيف يرفعون رؤوسهم بعد هذه الخيبة وما فعل بهم على يد هذا العميل المصري ، ولكن سواد الألم الذي تجرعه هو ومن معه لا يراه غيرهم ولا يشعر به من هو ليس

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

منهم ، فهؤلاء الأقزام ما هم إلا غاصبي أرض غيرهم وساكني منازل وأملاك الغير بحجة واهية وكلمات قد كتبوها في "تلمودهم " ووعدوا أنفسهم بوعود لا أصل لها من رب كريم أو نبي مرسل ، فمن يرضى بظلم الناس من رحماء البشر؟

فكيف برب البشر وهو أرحم الراحمين وهو الرؤوف الرحيم ، فمن يرضى بقتل الأبرياء ونفي الضعفاء وسجن وتعذيب الأطفال؟ فهؤلاء هم قتلة الأنبياء ، فما قتلوه من أطفال في مدرسة بحر البقر بالأمر اليسير ومذابح عدة في أناس ضعفاء لا حيلة لهم من نساء وأطفال وشيوخ عزل لا يحملون قنبلة ولا بندقية ولا خنجراً ولا يركبون الطائرات ولا المدرعات والمدافع والدبابات ، فقد فعلوا المذابح العديدة مثل :

(مذبحة قانا ودير ياسين ومدرسة بحر البقر وهم قتلة نبي الله يحي والكثير من الأنبياء وقد هموا بقتل عيسى ولكن الله رفعه إليه) ، وما يفعلونه في غزة كل حين ليس ببعيد ، فقنابل عنقودية ومحرمة تلقى على أهل غزة دون رحمة أو شفقة على نساءهم أو أطفالهم أو شيوخهم فهم لا يستطيعون مواجهتهم كالرجال ، بل يصنعون إبادة عرقية ولا يفرقون

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

بين محارب يحمل السلاح وبين أناس عزل لا حيلة لهم ، فلو أنهم نزلوا ساحة القتال ولو على مركباتهم من مدرعات ودبابات وغيرها ما صمدوا أمام هؤلاء الناس من أصحاب الأرض ، ولكنهم أجبن من ذلك ، فهم لا يقاتلون إلا من وراء جدار أو حصن يتحصنون به.

- فكر سمحون في مستقبل مستعمرته التي تكبر وتكبر بسرعة فائقة ولا مرض يعجزها أو سوسة تنخر في عضدها ، فها هو يرى أحلامه تتحقق وأمانيه تظهر كأنها بعض كويكبات في الأفق القريب ، وتتحول كل ذرة رمل إلى ثروات وكل ورقة شجر إلى دفءٍ وظلال ، فسماء الكون تتلألأ وتتزين لوطنهم الكبير الذي يثمر ويفرح ، فيقول لنفسه سمحون :

لك أن تفرح وتقفز طرباً أيها الرجل الذي كنت بلا هوية أو وطن ، فكم بُعثرنا في أرجاء الدنيا وتجرعنا ألم الفراق والبعاد وعيش الغريب في أرض الغربة بلا ذاكرة يعيش داخلها أو تاريخ لدولة يذكره بمجده وبطولات أجداده ، ولكنهم لا تاريخ لهم يشرفهم سوى الخيانة والتمرد والقتل والعصيان وتحقير الآخرين والإساءة لمن أحسن إليهم ، فرسول الإسلام محمد

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

صلوات ربي عليه وآله دخل المدينة المنورة فوجد فيها هؤلاء الناس فأبرم لهم عهداً واتفاقية وشدد فيها على احترام كل الأديان وأن يحمي المدينة كلها مما يحمي به نفسه وأهله وأتباعه وعلى كل من في المدينة أن يكونوا يداً واحدةً على من عاداهم من خارج المدينة ، فوافقوا على ذلك ولكن سرعان ما نقدوا العهد والوعد واتبعوا المشركين من أهل مكة وتحالفوا مع غيره من أعدائه ، فهم في كل زمان يسكبون أوساخهم وقذارتهم على من حاباهم وأكرمهم ، فإن أردت وصفهم فهم كالأفاعي المسمومة والعقارب السامة والسباع المفترسة القاتلة فلا أمان لهم ولا سلم لهم ولا عهد ولا ذمة ولا ولاء ولا راحة لهم ، أما رأيت الثعبان في غدره وانسيابه ، أتأمن أن تنام والثعبان ينام في أحضانك وبين ذراعيك تداعبه في صمت وحب وهو يُكنُّ له الموت والسم في أحشائه ، بل العجب أن ترى الأسد إذا أطعمته وأحسنت إليه لان لك وتودد إليك ودافع عنك وداعبك كأنك أمه التي أنجبته ، والعجب من ذئب لا يؤتمن على روح ولا يعرف غير جنسه ولكنك تجد لحياته المنهج الخاص ، لكي لا يسهل على غيره

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

أن يخترق وكره ولكنك إذا ربيته وأطعمته وأحسنت إليه وعاملته بما يحب ما فكر ساعة أن يأكلك ويلتهمك ،

أما هؤلاء فلو أحسنت لهم الدهر كله وأشعلت لهم كل أناملك لتضيء لهم ما تذكروا ولو لساعةٍ إحسانك قط ، فتلك طبيعتهم ولن يتخلوا عنها ، فنبيهم موسى بن عمران أنقذهم من آل فرعون وعبر بهم اليّم وبعد العبور وهم على دينه وقد أقروا بعقيدته إذا بهم يرون بعض الجهال يعبدون شجرة ، فتعجبوا ونظروا إليهم نظرة العابد في محراب العبودية وقالوا لموسى في صوت خافت تكسوه الرغبة والرهبة:

يا موسى اجعل لنا إلاهاً كما لهم ألهه ،

- نظرة الحزن علت موسى وخيبة الأمل جعلته يُحبط ويتمزق من داخله وقال لهم في حزن عميق وأسىً بالغ:

إنكم قوم تجهلون " ولكن موسى توقع منهم أكثر من ذلك فهم من فعلوا بنبي الله يوسف ما فعلوا ، فقد كان نبي الله يوسف يتقطع ألماً على ما فُعل به في صغره ، فكيف به وهو وفي أشد الحاجة لإخوته يفقد ذلك في لمح البصر ويجد بدلاً من إخوة عصبة وأشقاء ذئاباً مفترسة تأكل لحمه وتنثر

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

عظمه ، فيتركونه في جُبٍ موحش مظلم به الهوام والحشرات القاتلة بلا رحمة أو إنسانية لطفل في صغره وهو يبكي ويستنجد بهم ولكن حب الأنا والظلم وحب الذات والمطامع لتعمي الأبصار وتغلق الأفهام ، فيتجرع يوسف آلام الجب وآلام العبودية في قصر العزيز وهو ابن نبي كريم وجده نبياً كريماً فهذا يوسف الكريم بن الكريم بن الكريم يُستعبد في منازل الكفار وعبدة الأوثان ويسجن في شبابه بين المجرمين والقتلة والسفاحين ولكن الله نصره وأيده وأعزه واصطفاه وجعله عزيز مصر ومن أشرافها ، ويستمر موسى بهم في رحلته مع أعتى المعاندين وقساة القلوب ليطلبوا منه في عنت وكبر وعناد أن يجعل لكل سبطٍ منهم عيناً يشربون منها، وينظر قوم موسى للجبل في تكذيب وعدم ثقة بنبيهم ولا يتصورون أن يشق لهم الجبل أو يتفجر مع أنهم رأوا شق البحر وهو يتحول من ماء يجري وأمواج تتبعثر لطريق في البحر يبساً ، ففرعون وجنوده خلفهم والبحر من أمامهم وهم ينتظرون إما الموت بسيوف فرعون وجنوده أو ماء البحر الذي سيغطي أجسادهم ، وينظر القوم في شكٍ لنبوة موسى وسرعان ما يعبرون البحر كأنه الطريق الممهد الذي صنع

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

من أجلهم ورغم هذا الذي رأوه فهم لا يتذكرون ولا يسترجعون الأحداث التي مرت ، وينظرون في عجب لمنظر الجبل وهو يتفجر عيوناً ويكون لكل سبط عيناً فتكون العيون اثنا عشر عيناً ، فينزلون على الماء كالأنعام المتعطشة للماء ونسوا عجبهم وشكهم في أن تخرج الصخر ماءً ، فينهمون منه كأنهم مثل بعير يشرب دون شكرٍ أو حمدٍ لله أو نبيهم على توفيره لهم ما يريدون من ماء وطعام ، فها هم يتضورون جوعاً ففي رحلتهم عبر صحراء سيناء لا يجدون سوي الرمال والبحر المالح ويسألون موسى أن يطلب من ربه أن يعطيهم الطعام ، فيترقبون دعاء موسى وهو يبتهل ويدعوا ربه وهم في شك من ذلك ، فيهمسون لبعضهم القول:

أنىٰ لموسى أن ُينزل عليه ربه طعاماً من السماء ، يا ليتنا ما تبعناه ولا تركنا أرض الفراعنة فرغم عبوديتهم لنا وإذلالهم لنا ولكننا كنا نأكل ونشرب وكانت تلك الأيام أفضل من هذه ، وفجأة يتنزل عليهم المن والسلوى من السماء فيسرعون ليرتموا على الأرض ويلعقون بألسنتهم المن من فوق التراب في طمع لا يناظره أي طمع ، فيصرخ موسى فيهم وأخيه هارون:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

يا قوم ؛ يا بني إسرائيل:

لكل واحد نصيبه من المن والسلوى فلا تتصارعوا ، ولكن لا ينسوا الطمع ولا الحقد ، فيذهب أحدهم ليجمع نصيبه من المن ونصيب غيره

ولكن موسى يردعهم ويؤسس فيهم الحب لبعضهم والإيثار والمعاني النبيلة ولكن هيهات لقوم نقدوا المواثيق والعهود ، فبعدما أكلوا المن والسلوى وشربوا من تلك العيون ، قالوا لموسى في تذمر واستعلاء، بعدما اشتهت أنفسهم القذرة الطعام الرديء بدلاً من طعام الطير الذي ينزل من السماء وهو طائر السمان الذي يشتهيه الملوك والأمراء ، فقالوا :

يا موسى ، نريد أن ننزل أرضاً بها العدس والبصل والقثاء ، فقال لهم موسى:

عليكم بمصر إذا أردتم الرجوع فارجعوا لتلك البلد التي ذقتم بها أشد العذاب ، ولكن هيهات فالبحر يحجزهم والخوف من بقايا آل فرعون أن يقتلوهم يمنعهم ، ولم يبقي لهم مع نبيهم الكريم الذي أخذ بأسباب القوة والعزة لهم سوى أن يقولوا له

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

نريد رؤية ربك يا موسى عن قرب ، فنحن لا نؤمن بشيء لا نراه ، فما أقبح هذا العناد والتمادي في العصيان ولكن الله يريهم المعجزة تلو الأخرى فما يؤمنون ولو رأى غيرهم ما رأوه من بحر ينفلق وصخر ينشق ويخرج منه الماء وما رأوه من معجزات تهز الحجر وتحركه لتغير حالهم لأحسن حال ولأعلي الإيمان ، فإذا بهم يرون الجبل فوقهم كأنه ظلة ، وما أجمل من تصوير ربنا للمشهد الذي يخلع القلوب خلعاً ويرون المشهد كأنه قطعة غمام تتحرك من فوقهم ، فتراهم ينظرون وهم يضحكون ويشاهدون وهم لاهون كأن قلوبهم في غفلة وفي لهوهم يلعبون ،

ولم تكن هذه هي الفاصلة في غيهم وعنادهم ولكنهم عبدوا قطعة من الذهب الكبيرة علي هيئة عجل صنعها لهم السامري من حليهم في غياب موسى عن قومه وهو يتلقى ألواح التوراة وما فيها من تعاليم وشرع يزجرهم عن قتل إخوانهم والزنا في بعضهم والسرقة ، لأن تلك الأشياء السقيمة انتشرت بينهم بكثرة لأنهم في فراغ دون عمل ، فقد تفرغوا للجدال والطعام والشراب ومتع الدنيا ولكن موسى يريد إعدادهم للعمل وللقتال فيرفضون ويأبون ويظلوا هكذا على

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

مر السنين في عصيان وتمرد لكل الأنبياء والعلماء والأحبار ، حتى بعدما قال لهم نبيهم لا تعملوا في يوم السبت فعصوا أمره وتعمدوا العمل في هذا اليوم بحيلة نكراء وتحايل على الشرع ، فإذا بهم يفعلون ذلك ، حتى شّيد من َصلُح منهم بعض البناء المرتفع ليحول بينهم ، فيكون الذين عملوا في يوم السبت واستحلوا حرمات الله في جانب ومن سار على نهج الله وشرعه ونهج نبيه في جانب وتمضي الأيام وينظر هؤلاء الذين ساروا على الطاعة من فوق السور ليجدوا إخوانهم من بني إسرائيل قد مسخوا قردة وخنازير عقاباً لهم ولعصيانهم وكفرهم ، ويصير الخذلان وعدم استجابة الدعاء والبعد عن الأرض المقدسة وتحريمها عليهم لأكثر من ألف عام عقاباً لهم .

- دخل ديفيد على سمحون وهو في هيامه واسترجاع ذكرياته الحزينة وأحلامهم الوردية التي تتلطخ بالدماء ، فيقول له ديفيد:

ماذا فعلت مع يوسف؟

هل سيحل محل من سبقوه من رجالنا المخلصين؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

فقال له سمحون:

سندربه على كل الذي نريده منه ، فهو من الشباب المتحمس الذي تملأه شعلة نشاط ووطنية ، فقال له ديفيد:

وماذا عن المهام التي كنا قد كلفناه بها ، فقد انتظرنا هذا الحدث منذ أيام ولم ينتهوا منه ؛ هيا نذهب فليس لدينا أي وقت لنهدره.

الفصل الثامن:

ديفيد

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

-ذهب ديفيد بعد لقائه مع سمحون لعاصمة المستعمرة ليبحث مع وزير الحرب عدة أشياء ، ولا تعجب من أنه وزير حرب وليس وزير الدفاع ، فهم لا يقيمون اعتباراً لأحد ولا يحابون على حساب دينهم ومعتقداتهم وما عزموا عليه فلأول مرة لهم عبر التاريخ يرفعوا فيها شعارات حقيقية وليست جوفاء ويعلنوا صراحة عن عقيدتهم وما ينونه وما يخططونه حتى إنهم كتبوا مخططات وسموها بروتكولات حكماء صهيون.

-نظر ديفيد للِحيَّتهِ المتناثرة المبعثرة في المرآة ، ومنخاره الذي يذكره بمنقار الخشب ، فقد لاح له في المرآة ما كان في طفولته ، فكم كان يتجول في الطرقات يبيع ورق "اليانصيب" ويسير حينها بملابسه المهلهلة والمتمزقة في كل مكان وقد رقعها بعشرات الرقع الكبيرة حتى إن لون الجلباب لا تحدد له لوناً ففيه عدة ألوان مختلفة عن بعضها ، وشعره الذي تكور مثل السلك الملتف ، ووجهه الذي كان يبيت بالشهر لا يغسل ، تذكر ديفيد عندما كان يضربه ذلك الرجل المدعو يحي بعصاته على مؤخرته فيبكي على أثرها ، وصوت أمه وهي تأن من المرض في سريرها وهي لا تجد من ينقذها من المرض ولا من يسكت نحيبها ، فقال لنفسه في المرآة:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

أنا ديفيد من قتل وخرب أنا الذي صنعت لأمتي المجد ، أنا المظفر والذي ُيعمل لي ألف حساب حتى إن الجن تهابني ، أنا من أسست دولتنا مع رفقائي ، وسهرنا الليالي في العراء وظلماء الليالي الدامسة ، فتجيبه صوت المرآة:

بل أنت السفاح الذي قتلت عشرات الأطفال وعشرات الشيوخ والأبرياء وثكلت النساء ودمرت المعابد والمساجد ، أنت من تلصصت وسرقت وأحرقت ونهبت ، أنت لست بفارس مغوار ولا بمحارب شجاع ، بل أنت في الأصل الجبان الذي يظهر للناس شجاعة هشة ، ولا ترقى لدرجة حيوان ، فالحيوانات تقاتل على مرأى ومسمع من عدوها وفريستها ، أما أنت فالجبن من شيمتك

فهذه حرب (48) في هذه الحرب لو وجد هؤلاء الذين كانوا يقاتلون من العرب المدد والسلاح والعدة والعتاد ما استطعتم هزيمتهم ، فقد كانوا على وشك النصر لولا الخيانة النكراء ووقوف الغرب معكم بكل قوتهم ، وهذه حرب (٦٧) استعنتم بأمريكا وروسيا وكل الدول في الضغط على مصر لأجل منعها من أن تبدأ بإطلاق النار وكانت المخابرات وقتها تعلم ساعة الحرب وحددوا وقتها عن طريق عملائهم في إسرائيل ولكن

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

مصر استبعدت أن تبدأ إسرائيل بإطلاق النار ، فكانت الخيانة والغدر ،

(لقد ضُربت الطائرات والمدرعات والدبابات على الأرض)

أرأيت يا ديفيد شجاعاً يضرب مكتوف الأيدي؟

أرأيت حرباً تكون من طرف واحد؟

بل هي الخيانة والغدر والخوف من الطرف الآخر حتى لا يهزمك ، وهل يعقل أن مرتفع الجولان يحتل بسهولة هكذا؟

إن قادة العالم الاستراتيجيين يقولون:

(إن مرتفع الجولان لا يمكن أخذه بسهولة لأنه من الصعب وصول الآليات عليه لو كان هناك من جيش يحرسها ولكنها سلمت تسليماً)

فالخيانة من هؤلاء أضاعت الجولان وضاعت سيناء ، ولو أن هذه الجيوش كانت مستيقظة وقادتها أوفياء لما ضاعت هذه الأراضي بسهولة كأن الجيش الإسرائيلي يتنزه في تلك الأراضي فهل كان الجيش في غفلة أم كانوا نياماً أم أعطوهم مخدراً أماذا حدث؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

والله ليعجب التاريخ من مثل هذه الأحداث وما بها من سقم وجنون ،

(فمن ينصر وطنه ويرقى به يصبح علماً فوق هامة التاريخ)

أما هؤلاء الخونة ، وأشباه الرجال ومن انشغلوا بالزعامة والسير خلف ركاب الغرب ولعق نعالهم ، فعليهم لعنة الله وملائكته ورسوله والناس أجمعين ،

فيرد على نفسه ديفيد:

لا إننا انتصرنا بمجهودنا وسواعدنا وما أعددناه من قوة ، فكم دبرنا واجتهدنا وسهرنا الليالي من أجل ذلك وها نحن أصبح لدينا مفاعل ديمونة النووي وترسانة حربية لا نظير لها في الشرق الأوسط كله وأنا أتحدى أن يجرأ هؤلاء العرب من لَمسِناَ بسوء ، فهم قد صاروا ضعفاء ، يهابون الموت ويحبون الرقص والمال وكرة القدم ويتصارعون من أجل لقمة العيش ، فمن السهل أن نأخذ ما وعدنا به في التوراة من النيل إلى الفرات وأرض سيناء أرض الجنة والقدس

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

أرض الميعاد ، ولن نتخلى عن قطعة من هذه الأرض ولو كانت كقيد أنملة.

-سمع ديفيد صوت الهاتف بجواره فأيقظه من هيامه ، وامسك سماعة الهاتف ليسمع الخبر المشؤوم لديه ، أن مصر تستعد للحرب ، فتغير وجهه ووقفت شفته كشفة الفأر الصغير وطأطأت أذنه كما تفعل السيارة عندما تقف فجأة ولبس قبعته بسرعة وانصرف نحو القاعدة الحربية لديهم ، فنزل من سيارته "الجب" كفأر مذعور يقفز فوق صفيح ساخن من فرط الزيت المسكوب فنادي على من في القاعدة ، أنا هنا ؛ أنا ديفيد ، أنا من شغل كل منصبٍ سامي ، فلماذا لا أعرف خبر الحرب؟

لماذا أنا آخر من يعلم؟

لماذا تخفون عني ما يحدث؟

فأشار إليه كبيرهم:

هيا اجلس واسمع ما حدث ، إنها بعض الخدع لمصر حتى نوهمهم ونقلقهم ،أتغضب من فعلي هذا قبل أن تعرف مصدره؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

-فنظر إليه ديفيد نظرةً ثعبان ينفث ما بصدره ثم قال في وجلٍ:

أنا آسفٌ يا سيدي ، لقد أسأت الأدب سامحني ، فنحن لا نفطن أبداً ، فما في رأسي ليس بعقلٍ بل كرة لبعض القمل ، فإن شئت فقل عني أبلهٌ ، أو قل لست أبصر ، فقال هذا المنطاد:

يا عزيزي كلنا حمقى ، فلماذا أنت تتجهم أو تحاول أن تهرب مني؟

أجابه بصوت متهدج:

أنا لست بشراً كالبشر ، بل أنا وحشٌ بريٌ آكل كل عربي مسلم أو حتي لو كان مسيحي ، فطلقات المدفع لا تفرق بين جميع الأديان ، فنضرب بلادهم بكل قسوة فيموت من يموت قتيلاً ، فنحن نبغض كل الناس إلا من كان يهودياً أو من على شاكلتنا من يذبح كل امرأة حبلى أو شيخ لا يستطع السير ، أو طفل يحبوا في منزله ، نحن القتلة ، نحن الكفرة ، نحن من أدمينا قلوباً قد عكفت على حب المنصب ، قد باتت تسجد للمال ،

(فكل الناس لا تقدر أن تهزم من كان الله معه)

هذا القول قد قاله رب الأرباب لمحمد:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

نحن نعلم أنه صادقاً ولكن لا نقصد عبادة ، بل حب الزعامة والحقد لدى قوم سبقوا تلك الأديان.

النمرود
في بلد النمرود
سيد أحمد أمين

محمود سلطان

يتجهز محمود ثعلب المخابرات لمهمة جديدة تزلزل قلوب بني صهيون ، فكم كانوا على حذر من أي عدوٍ يأتيهم من خلفهم

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

أو عن أيمانهم أو تحت أرجلهم ، ورغم الحذر والحيطة إلا أن من يَمكر... يُمكر عليه ، ومن زرع اللغم حصد انفجاراً ، فما تزرعه تجده في انتظارك ، زهرٌ بزهر ودانةٌ بدانةٍ وقنبلة تفجر غيرك تكاد تنفجر فيك ، فدقة بدقة ولو زدنا لزاد السقة ، فتلك الليالي حبلى بمآسي البشر ، فأنت اليوم في قوة وغداً يعتريك الضعف ، وبالأمس كنت بطلاً مغواراً وغداً تكون بين الموتى أو تكون معاقاً ،(فهي الأيام كما شاهدتها دولٌ ..... من سره زمنٌ ساءته أزمان)

كما قال أبو البقاء الرندي عند سقوط الأندلس ، فقد كانت الأندلس من أزهى البلاد وأنضرها وأبهاها عمارة وأدباً وفناً ورغم كل ذلك انهارت الأندلس ، وتبدل العز لذلٍ والريُ لظمأٍ والسيادة لصَغار وعبودية وأسرٍ ونفيٍ ، فها هم هؤلاء اليهود كانوا بالأمس في الأندلس يعيشون جنباً إلى جنبٍ مع المسلمين فلم يهنهم أي أحد في ظل الحكم الإسلامي هناك ، لكن لما دخل النصارى بصليبهم إلى الأندلس فعلوا الأفاعيل باليهود في محاكم التفتيش ومن خاف ورجع وآمن بحد السيف تركوه يرحل بمفرده ، ولكنهم ينسون ذلك ، فلا تعجب مما فعلوه أيها المسلم ، أيها المصري ، أيها الفلسطيني ،

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

أيها العربيُّ المسيحيُّ فحب الذات وحب الامتلاك غريزة في البشر من لدن آدم حتى يومنا هذا ، فها هما بني آدم يقتتلان من أجل امرأة فيقتل أحدهما الآخر ، فمن أجل حثالة الدنيا ومن أجل لعاعة حقيرة ،فنتهافت كفراش يقع على نار فيحترق.

-ذهب محمود إلى تل أبيب ولكن بصورة أخرى وبشخصية لا يعرفها هؤلاء الأقزام ، فهو يظهر لهم شخصية ضابط المخابرات المصرية ويخفي شخصيته الخفية ، فهو يتقنع خلف شخصية رجلٍ موسيّقيّ يعزف بفرقة موسيقية في كل مكان ولا يشك أحدهم منه ، لأنه ُزرع بينهم منذ خمسة عشرة سنة ، فيجمع الأخبار كما شاء ، كأنه يقطف حبات البرتقال من أعلى الأشجار ، فهؤلاء القوم ليسوا كما يظن بعض الناس أنهم لا يقهرون ولا يخترقون ، فالحق يقال:

إنهم أخلص الناس لمستعمرتهم ، ولا يتركون صغيرة ولا كبيرة إلا وينقبوا فيها ليحللوها حتى يروا هل هي صالحة أم لا؟

ولكن القلب المظلم كثيراً ما يخطئ وكثيراً ما يضل ويغرق ، لأن نور الطاعة لم يدخله ولا نور الإيمان بالله وحده وبأنبيائه

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

كلهم دون تفرقة بين أحدٍ منهم ، فمثل هؤلاء كمثل كفار قريش لما اجتمعوا علي قتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقالوا نضربه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل ، ووقفوا يترقبونه وينتظرون خروجه ، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخرج من بين أيديهم ويضع على رؤوسهم التراب ، بفضل الله الواحد الأحد ، فلم يروه ولم يحسوا به ، رغم يقظتهم وشدة حرصهم على قتله ، ولكن الكفر ما كان له أن ينتصر على الإيمان ، فقد تراه منتفشاً ولكنه انتفاش الباطل وفي الحقيقة هو زاهق ، فترى في الأفق بعض البالونات المملوءة تتطاير في السماء فيحركها النسيم نحو الشرق والغرب مثل الفقاعات في الماء الراكد ،

يتحرك محمود كبساط الريح في كل المستعمرة ليشق حدود الظلم بسكين من فولاذ ، فجلد الكلب كصلب مطروق فوق نار الحداد التي لا تنطفئ ناره بالأعوام ، حتى جلود بعض الفئران يصعب على النفس رؤيتها وهي تتقطع إرباً ، فيذهب محمود ناحية المبنى المكون من خمسة طوابق ، فهو يقطن في الطابق الرابع ويدير من خلاله أعماله المخابراتية ، وتأتيه تلك الفتاة اليافعة التي تشبه لون التفاح المشرب بحمرة

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

وكأنها زهرة جميلة في بستان مفعم بأنواع الزهور ، فمنذ زمنٍ وهي معه ، فهي من أصول ألمانية ولكنها تنتمي لهؤلاء الأقزام ، فهي متزوجة من ضابط في الجيش الصهيوني ولكنها لا تحبه وتعشق "محمود الذي تعرفه باسم "ميشيل ، ولكن محمود لا يثق بامرأة صهيونية ، مهما أعطته من حبٍ وعاطفة ومتعة جسدية ، فهؤلاء الأقزام لا أمان لهم ولا يبيعون مستعمرتهم من أجل رجل ولو كان سيد الرجال وأعظمهم ، فمن باع وطنه وذكرياته ومبدأ منشئه فمن اليسير عليه بيع عشيقه وحبيبه ، فتلك الكائنات قد خدعت بكتب مزيفة قد قام بتأليفها هؤلاء من أجل مطامعهم وأغراضهم الرخيصة، فقد استحلوا في كتابهم السرقة من أي جنسٍ دونهم أو فعل الفاحشة أيضاً، ففي هذا التلمود الذي صنعوه يقولون:

(من سفك دم (الأمميين) فإنه يقرب لله قرباناً) ، ويقولون:

(إن اليهودي يحق له اغتصاب غير اليهوديات)

وهكذا ، فلا يحرمون ما حرم الله ، فقد وظفوا الدين على أهواءهم ، ويؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض كما أخبرنا ربنا سبحانه وتعالى في القرآن ، فشتان بين قلب

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

ينبض بالحياة وآخر مثله كمثل القط الذي مات وتنهش الطيور الجارحة جيفته ، فهو لا يشعر ولا يحس ولا يتألم مع أنه ما زال يسمع ويبصر،

(فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

، فالحلم الذي في اليقظة حلم الصبيان ، أما أحلام الكبار فلا تأتي هكذا وقت الظهيرة، والشمس تسطع فوق دنيا الأحلام والأماني أما صوت الحزن الذي يتخلله نار الشوق وولع الغربة ، فلا يسمعه سوى ثلاثة نساء ، أما الأولى فهي:

فتاة نبتت فوق رمال البحر فعاشت بين الموج وبين الرهج ، والأخرى امرأة لا تنسى أو تفقد يوماً ذاكرتها ، لأنها لم تنسى أبداً آلامها ، ولا ما فقدته من رضيع كانت تنتظره أن يأتي في الصبح ، والثالثة تلك الأم العصبية ، من تسب وتلعن وتضرب وتشتم ، من تتهاوى من نظر الناس ، أو تصحوا على كل صنائعها.

-اجتمع محمود برجلٍ ما بعدما مضت هذه المرأة التي تدعى "ماري " وجلس معه هذا الرجل ذو الشعر الأسود وذو

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الملامح العربية وحدهما وهمسا ببعض الكلمات التي تخص تلك الأسرار الصهيونية ، فأخبره بما سيفعله ومضى وترك محمود يبعث بتلك الأخبار لمصر في طريقة سرية لا تُعرف ، فهو يبعث ما يود إرساله على هيئة مقطوعة موسيقية ، فلا يعرفها سوى من يخصه الأمر من مصر ، وبعدما ينتهي من هذا يتذكر نحيب تلك المرأة التي كانت معه ، فهي تبكي وترجوه أن يتزوجها وتترك زوجها وهو يرفض ويهرب من طلبها ، ورغم هذا فزوجها يعرف ، كل ما يحدث بينهما ولكن المال والعلاقات السياسية والمصلحة المشتركة تمنعه من اللحاق بهما أو متابعتهما ، أو إلحاق الضرر بهما ، وإن شئت فقل:

(إن قوماً عبروا على أعراضهم وشرفهم لمن السهل أن يفرطوا في كل شيء إلا الوطن) ، فمن أجله .... لا شرف ولا كرامة ولا أي دين ،

ففتيات الليل يتبرجن دون حياء أو رقيب ، أو وازع ديني ، فأبناء الشيطان ليسوا من صلب أبيهم ، بل هم من نسل الأيام تلك الأيام الحبلى بالأحداث وبمآسي الليالي ، فيا ترى هل ينجب ثعبان البحر محاراً أو سرطاناً ، سيبيض ثعباناً أقرع

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

في البرد دون أن يظمأ أو يشعر أبداً بالجوع ، تتعالى صيحات أناس ما عرفوا غير الكلمات ،

(ملعون من آذى ذمياً)؛ هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففي القرآن أوصانا الله أن نرفق بأهل الكتاب ، ولكن لا قول غير كلام الله في القرآن وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حذرنا من بغض يهودٍ ومن حسد باقٍ.

أتت ماري لمحمود في مسكنه في ثياب متألقة ومنظرٍ خلاب ، فقد تزينت له كما تتزين العروس لزوجها ، فقرعت عليه الباب في لهفة وشغفٍ ، فقام محمود وهو يعتريه الفزع والقلق ، فقد كان يحلم أنه كان يكتب تلك الأسرار وإذا بهؤلاء الأقزام يدخلون عليه ويفتشون في مسكنه ، حتى وجدوا أدواته التي كان يستخدمها في الكتابة ، وأنهم أخذوه ونصبوا له المشنقة ليعدموه شنقاً ، فقطع عليه هذا الحلم.

-قرعت ماري الباب ، فقام من على سريره فزعاً وخبأ أدواته في لمح البصر ثم ذهب ليفتح الباب، وإذا "بماري" من تكون على الباب ، فدخلت بسرعة وأغلقت الباب وعانقت محمود بحرارة شديدة كأنها لم تراه من عدة سنوات ، فتعجب محمود وقال لها:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

ماذا حدث؟

فنظرت إليه ماري بعينيها الحزينتين الدامعتين وقالت له:

أحبك يا ميشيل ولا أطيق الصبر بدونك ، أنا لم أستطع النوم طيلة هذا الوقت ، فمنذ فارقتك وأن أتململ حزناً ، وأقول لنفسي:

يا ترى هل ميشيل يحبني؟

هل يشعر بما أشعر به؟

هل يعاني ويتألم كما أتألم؟

فنظر محمود في عينيها وقال لها:

أحبك ماري ، ولم أحب سواك ، ثم نظر محمود في الجهة الأخرى وهو يهرب منها ومن حبها فهو يضغط على قلبه حتى لا يغرق في حبها ويعيشا معاً فتعرف عنه ما يخفيه من عمله السري ولكنها تتعلق به أكثر وأكثر مما دفعه لأن يشعرها بعدم ارتياحه لتلك العلاقة ، فتتشبث به وتعانقه بشدة وتقبل جميع جسده حتى يتزوجها ، ولكن محمود يعاند نفسه ويقف أمام غريزته البشرية ليقول لها:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

ماري أنا معك كل ليلة ولعدة ساعات ، أما الزواج فلا ، فأنا لا أريد أن أدخل هذا السجن أبداً ، فتقول له ماري:

أتسمي هذا الزواج سجناً؟

أتسمي اجتماعنا ببعض كل ساعة وكل لحظة ولا نفترق بالسجن؟ فقال لها محمود:

هذا ما أراه يا ماري من وجهة نظري ، ولكن لا تضيعي علي الوقت وتعالي على هذا السرير لأستمتع بهذا الجمال وهذه النضارة التي تفعمك ، ثم أخذ بيدها وساقها للداخل ، وراح يقبلها من شفتيها ووجنتها وارتميا على السرير ليضاجعها مضاجعة حارة مما جعلها تهيم في حبه ومذاق بشرته الجذابة ، فتلك البشرة غنية بالحرارة والنعومة والإحساس الذي يشبه ملمس الحلم الجميل ، فهذه البشرة تكسوها كل المشاعر الفياضة وكل حسٍ مرهفٍ ، أما هؤلاء الأقزام فلا مشاعر لهم ولا إحساس لديهم ، فجلودهم كجلود الأنعام إذا ذبحت تخلو من ماء ومن دمٍ ، لكني أظلم كل بهيمٍ بوصفي إياهم كالصهاينة ، فأنت إذا تعاملت مع هؤلاء الأقزام ، فأنت تتعامل مع جسدٍ مات ، أو مع صخرة في وادٍ تكسوه الأحجار فالعفن

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

خرج من بطون تلك الأقزام لينتشر في رحم الجماد فلا يخرج غير نتن الماضي ، ورغاء الحاضر بكل لغات الموتى ،

-سافر محمود في الصباح إلى حضور حفل غنائي بقيادته في روما فذهبت معه ماري إلى المطار لتودعه في حزن قد خيم عليها وبدموعٍ تسيل على وجنتيها ، لتعانق حبيبها الأوحد ، فودعها محمود وركب الطائرة ومعه فرقته الموسيقية ومضى ليترك ماري وحدها مع هذا الضابط الذي يعمل في الدفاع الجوي ويدعى إلياس وهو من قادة الدفاع الجوي ولديه المعلومات الحساسة التي يأخذها منه محمود عبر زوجته ماري.

الفصل التاسع:

إلياس

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

إلياس يعمل في مكان استراتيجي لدى الصهاينة وعمره تعدى الأربعون عاماً ، فهذا الضابط يشبه الرجل الأبله أو الرجل الذي فقد عقله ثم رجع إليه ، فهو يتلعثم في حديثه كأنه بلا لسان أو كأن لسانه يحتاج لمن يحركه ، فدائماً ما يشجوا ويشكوا حاله ولكن في صمت مع نفسه ، ويشرب الكثير من الخمور لعله ينسى تجاهل زوجته ماري له وبُعدها عنه ، فيقول لنفسه

أنا شبه إنسان ، أنا لست بشراً ، أنا من؟

لماذا لا تحبني ماري؟

ولماذا تنفر مني؟

أيكون لدي الوجه المغلق الذي لا يفتح ملامحه؟

أم وجهي كالقرد إذا عمي القرد؟

أنا أعطيها كل ما تطلبه من شتى الأشياء ، فقد فعلت من أجلها ما لا يتخيله أيُّ عقل ، فقد شيّدت لها المنزل الكبير الضخم الفخم ، وجلبت فيه ما تحتاجه من أجهزة وديكور ، وساعدت أباها في عيشهم مع أنهم لا يستحقون ، فجفوة أمها ورثتها إبنتها ، فلا أدري ماذا أفعل معها؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

لقد جعلتني أدمع دماً ، ولا أكاد أنام من تفكيري بها ولوعتي عليها ، أنا كمجنون ليلى ، سأُجّن قريباً ، فالابتسامة فارقت وجهي ، ولم أعد أضحك وألعب ، كرهت كل الحياة بسببها ، أنا حزينٌ أنا تعبانٌ ؛أنا ممزقٌ ؛ لم أعد أتمنى أن ننتصر ، فالنصر لا يعنيني ، أنتصر من أجل حثالة لا أب لهم؟

أننتصر من أجل حفنة رعاع قلوبهم أقسى من الحجارة ،

(وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ؛ وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ؛ وإن منها لما يهبط من خشية الله .....)

قول رب الأرض والسماء ، هكذا في كتاب المسلمين ، أنا أشهد أني ما عشت مع هؤلاء القوم لحظة بها متعة منذ مجيئنا إلى تلك المستعمرة ، ولكنه الكبر والمكابرة والغرور الذي أدمى قلوبنا ،

(فمهما كبرت أنثى الضبع فلن تكون يوماً كالأسد)

تلك الكلمات يرددها إلياس قبل نومه في معسكره وهو يتناول الخمر لينسى ما ألم به من ويلات الخداع والخيانة التي حلت به ، فهذا الذي به يجعله يهذي بكلمات سرية لزوجته ماري،

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

وأما ماري فتتحدث مع محمود لظنها به أنه من الأقزام ، ولكن محمود يتعامل في إسرائيل بوجهٍ به بعض الملامح التي وضعها مثل شعره الطويل وشاربه الذي يشبه شارب شمشون الجبار ولحية صفراء كبيرة ويغير من شكله الأصلي ليظهر لهم بهذا الشكل ولا سيما وأنه لا يتواجد في تل أبيب إلا القليل من الوقت ، وفي هذا الوقت القليل يجمع فيه من المعلومات الكثيرة ، فوجود هذا الضابط في هذا المكان يحقق النفع لمصر.

يوسف

يخرج يوسف في المهمة التي رسموها له للقضاء على محمود سلطان (الثعلب) فذهب يوسف يتحسس هذا الضابط كما تنبأوا بوجوده في المجر ، فذهب يوسف هذا الشاب الذي يشبه أباه في غبائه ووجهه إلى هناك ، وقد وضعت

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

المخابرات المصرية له صورة طبق الأصل من محمود وفي ملابسه وحركاته ليصطادوا به من أراد قتل محمود ، أما محمود فيقوم بتضليل الصهاينة من خلال مكانه في روما دون أن يشعروا به ، وقد علموا من رجالهم أنهم أرسلوا هذا القزم إلى هناك في المجر ، ولكن يوسف بعد تدريبه عدة أيام على بعض الأشياء ذهب مع بعض الأقزام الذين تمرسوا على الاغتيالات والقتل ولكنه يرتجف من داخله ، فهذا الرجل قتل من هو أفضل منه مثل أبيه وهؤلاء الثلاثة الذين سبقوا رابين والده ، ورغم خوفه إلا أن عزمه على الثأر من قاتل والده يدفعه دفعاً نحوه ، والذي يشجعه أيضاً هؤلاء الثلاثة الذين يصحبوه في رحلتهم الجهنمية ، فدخل أرض المجر وبدأ رجال المخابرات المصرية باستدراجهم نحو ما نصبوه إليهم من فخٍ لهم ، فذهب هذا الرجل الذي يشبه محمود أمامهم بسيارة يمتطيها بمفرده ليلفت أنظارهم ، فيهرعون خلفه ليلحقوا به وسرعان ما يتسابق الجميع نحو طريق خالٍ من الناس ليجعلوهم ينزلقوا نحو الهدف، وسرعان ما دخلت السيارة في طريق ضيق في مكان زراعي وبه عدة بنايات كبيرة ، فدخلوا خلفه على عجل ، والذي يستعجلهم هو يوسف وهم

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

يحاولون ردعه لخبرتهم بتلك المناورات ولكنه بغبائه ينساق خلف هذا الرجل الذي يشبه محمود سلطان ، وبينما هم يسرعون وراءه إذا بسيارة كبيرة تقطع الطريق ، فيقفون فجأة مما جعل سيارتهم تنقلب بهم ويصبحون أسفل السيارة ويأتي هؤلاء الرجال الذين ينتمون للمخابرات المصرية فيقفون على رؤوسهم وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة ويقبل عليهم هذا الرجل الذي وضعوه مكان محمود ليكشف عن ملامحة الأصلية وهم لا يستطيعون حراكاً ، فقال لهم:

أنا لست من تريدون ، فابتعدوا عن سيارتهم المقلوبة ثم أطلقوا عليها عدة طلقات لتتفجر بهم ، ويتركونهم في تلك المحرقة ليكونوا قطعة من الفحم ، ثم مضوا لينتشر الخبر في المستعمرة بقتل يوسف وهؤلاء الثلاثة القتلة ، فنزل الخبر كالصاعقة على رؤوس الأقزام ، فكانت مأتماً وعويلاً دام هناك لأسبوع ، بكت فيه مريم وسارة الكثير وذرفت منهما أمطار الدموع.

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

مريم وسارة

-أخذتا مريم وسارة تبكيان بحرقة بالغة على يوسف فقد كان آخر من تبقى من الرجال في عائلتهم ، فيوسف مع إنه كان كئيب الوجه مقتضب الجبين إلا إنه كان يحنوا عليهما ويميل

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

إليهما دون والده وذلك لضعف أبيه وقوة شخصية أمه واخته فقد ترك لهما رسالة قد وضعها في مكتبه قال فيها:

أمي الحبيبة؛ مريم الغالية أختي :

قد أحببتكما أكثر من أي أحد وأنا اليوم ذاهب إما بدون عودة وإما قد أثأر لأبي ، فإن عدت فهذا من كرم ربي وإن لم أعد ففي وطني الحبيب العزاء ، فأنا أود أن أقول أن هذا المكان ليس مكاننا ونحن في لعنة إلى يوم الدين ، ولن نعيش في سعادة ما دمنا نقتل ونفعل ذلك في الأبرياء فلا دين لمن لا قلب له ولا عدل لمن أقام الظلم ، ويسقط كل حقير قاتل مهما عظمت كل الطرق.

-من المستحيل إطعام الصرصور عظم الفيل ، لأن الكلب من يأكل العظم ، أما لحم الحملان ولحم السمان يأكله من تَعب وكدَّ ،(فكل إنسان جبار يظل بلا ظلٍ تحرقه الشمس) ؛ فشتان ما بين غريب يلهث من عدم الصحاب ورجلٍ يتمتع بكل فروض الطاعة ، فالدنيا ليس بها سوى المعاناة والألم والأوجاع التي تسري بين البشر في دماءهم ومفاصلهم حتى كان الناس على صنفين ، فالأول:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

واهن الجسد متهالك البنية ، والثاني:

مثل الدب القطبي الذي يقطن أماكن الثلج ولا يتأثر ، فهو اعتاد على البرودة.

-تذكرت سارة ابنها وفلذة كبدها يوسف فظلت تبكي واعتكفت في منزلها واعتزلت الناس ، ولكن الأقزام لم يتركونها وحدها ، فقد أخذوا يتدافعون عليهما من كل أنحاء المستعمرة ، ومريم قتلها الحزن حتى إنها لا تأكل ولا تعيش يومها كعادتها حتى نقلوها للمشفى ووضعوا لها المحاليل مما دفع سارة للخروج والمكوث مع بنتها حتى ترجع كما كانت ، وجاء إليهما ديفيد وسمحون ليواسيهما ويخففا عنهما ، فقال سمحون لسارة وقد أهلكها الحزن والألم:

إذا احتجت لأي شيء فنحن بجوارك دوماً ولا نتخلى عن رجالنا ومن أفنوا أنفسهم لأجل وطنهم وسنأخذ لكل الشعب حقه ولكما أيضاً من هذا الرجل الذي قتل أفضل رجالنا وخيارهم ، فأنا سأتولى هذا الأمر بنفسي وسأنتقم لكم من كل غادر.

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الفصل العاشر:

ديفيد

TorathBookstore

-تلقى ديفيد وسمحون ومعهما بعض القادة من الجيش لبحث موضوع هذا الضابط المصري " محمود سلطان ، فقال ديفيد

سنستعين هذه المرة بأخطر رجالنا وأمهرهم وأشرسهم ؛ فقال سمحون:

هل سنبعث لهم من نفذ عمليات الاغتيال التي كلفناه بها في الماضي أم نبعث بالخفاش؟

فقال له ديفيد:

نعم ، سنبعث الخفاش، فهو الأنسب لتلك المهمة ،فقال له سمحون:

نعم الاختيار ، فقد اخترنا هذه المرة من هو الأنسب والأقوى والأحرف.

- ظل هؤلاء في اجتماعهم يضعون الخطط والقواعد لعملهم ، والحق يقال:

(إن دولة قامت على المساواة والعدل ونبذ المحسوبية والرشوة والفساد المالي ، لهي من إحدى الدول التي تتقدم وتزدهر وتنموا بكل ما فيها) ؛ أما في دول الظلم والمحسوبية والفساد والرشوة وعباد الكراسي والمناصب ، فإنك تجد

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

خلاف ذلك فاليوم يرصف الطريق وبعده يقومون بتكسيره ، وإذا سألتهم لماذا هذا التكسير؟

قالوا لك:

إننا نقوم بتركيب كابلات الكهرباء أو مواسير المياه أو أسلاك التلفون وهكذا دواليك ، (فكل جسد نبت من سحت فالنار أولي به) ؛ قول رسولنا (صلى الله عليه وسلم) لكن هؤلاء بدون تعاليم الإسلام ومنهجه الواضح يطبقون الإسلام في حياتهم مع أنهم أضاعوا الكتب السماوية بتحريفها ولكنهم بمبادئهم الثابتة وقيمهم التي لا تتزعزع أبداً أقاموا دولتهم وعمروها وجعلوها جنة تجد بها كل شيء دون الحاجة للغير، لأن هؤلاء الناس لو انحدروا عن طريقهم الذي رسموه ما كان هذا حالهم ، ففي عدة سنوات لا تتعدى قرناً من الزمن يشيدون مفاعل ديمونة ولا يستكفون بذلك بل تعدَّوا مستعمرتهم ليدخلوا مصر وسوريا ويأخذوا كل فلسطين في زمن لا يقاس بعمر البشر ، فهذا المفاعل ومفاعل الهند قاما معاً مع أن عبد الناصر وغاندي اتفقا على تشييد مثل هذا المفاعل ، فقاما هذا المفاعل في الهند وفي إسرائيل ونحن كما نحن، ألسنا كالهند الذين يعبدون البقر ولهم عدة أوثانٍ

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى ، والهند بها التشرذم والتفكك والتناحر المذهبي والديني والقبلي والعنصرية الفاسدة بين طبقاتها ورغم ما هم فيه من كثافة سكانية واحتلال دام لديهم لفترة كبيرة من الزمن ومع ذلك تقدموا علمياً وتكنلوجياً وصناعياً ، ففي حقبة زمنية قليلة وبعد أن كانوا يستوردون من مصر القطارات في ظل الحكم العثماني ، صاروا يصدرون كل شيء حتى صناعة السينما الهندية وأصبحت في صدارة العالم ، أما نحن فننفق على الأفلام ملايين الجنيهات ورغم ذلك فلا يوجد نفس التصوير والإخراج الأوروبي والهندي وغيره ولا تعرف لماذا؟

- ألم تستوردون أحدث المعدات ،ومعكم العمل المكتوب البارع والذين يقومون بالأدوار في

-غاية البراعة ، فلماذا لا نكون مثلهم حتى في الأفلام التي لا تدر عائداً علينا ولكنها ثقافة لابد منها في ظل الحداثة والإطلالة على مستجدات العصر؟

(فلا عيش لطير قص ريشه وسط صقور جارحة)

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

تتطاير الأوراق الوحيدة في مهب الريح ، أما التي تعانق أختها وأمثالها ، فتكون ثقيلة الحراك صعبة علي الرياح ، لن تبلغ قمة الجبل وأنت تحبوا على تلك الفراش الحريرية حتى تقف علي قدميك أولاً.

- ظن ديفيد أن هذا الرجل الملقب بالخفاش سينجز عمله ، ولا ندري ، فلعل السمكة يوماً تكبر وتكون في قدر الحوت ، أو أن الفراش المتطاير الذي لا يزن ريشة سيتحول لصقرٍ يأكل من هو أكبر منه ، هيهات لدنيا الميكروبات أن تلد للدنيا غير العفن والمرض ، فمن سمح للثعبان أن يكبر وللذئب أن ينام مكانه فلينتظر القتل السريع والذبح والتنكيل به ، أرأيت أنثى الفأر عندما تلد فأراً ، فلا ضرر من ذلك أبداً ، حتى جذور الريحان لا تخرج من مكمنها ، فالعصافير لا تنعق كما ينعق كل غراب أسود ، ليس كل الناس حمقى ، بل عبث الأيام يقتلهم ، يجعل كل عزيز في ذلٍ ولو كان ابن السلطان ، أنا جربت صمت الناس، فلا الخوف يجعلك بخيرٍ ولا الإقدام يخلق شجاعاً ، كل قانون الناس يحتويه كل مجرم وجبان.

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

محمود سلطان

-قام محمود بعزفه في حفلاته الموسيقية في روما، ولكنه بين ذلك قام بواجبه الوطني فينقل ما يعرفه من ماري عبر

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

رسائلها له على الدوام وعبر مكالمتها له بين الحين والآخر ولكن ماري تأتي له روما لمّا استبطأته وتأخر عنها ، فسافرت إليه على عجلٍ وهي تحمل الكثير من الأخبار المهمة له ولمصر وتأتيه وهو يقوم بعمله على حين غرةٍ ، وتطرق عليه باب مسكنه كالعادة ففتح لها ولكنه لم يتعجب فهو قد اعتاد على جنونها وطيشها ، ففرح بوجودها في روما وفي هذا الوقت على الأخص ، فقبلها قبلة حارةً ودخلا معاً إلى شقته التي يقطنها بمفرده ، فهو لا يحب أن يشارك أحداً معه في المسكن خاصته لظروف عمله السري، ففرح محمود بتلك الزيارة المفاجئة ، فقد كان يحب أن يعرف بعض المعلومات المهمة ولكنه كان في حيرة من أمره ، ولكنه لن يستعجلها حتى لا تشك فيه وسيبدأ أولاً بمعاشرتها وجعلها تستمتع كما لو كانت في الجنة ، فهو يحبها أيضاً ويشتاق إليها كما تشتاق إليه ، فجمالها الخلاب ولون عيناها الساحرتان يبهره ويجعله لا يفرط فيها طرفة عين ، فتقابلت الشفاه والتحمت الأجسام وتعانقت المشاعر والقلوب في هذا اللقاء الناري فما فيه من شوق ورغبة يحيل الماء ناراً ، فتخرج منهما حرارةً تشعل ما أمامها من فرط الحب وحلاوة الجسد الأنثوي الفاتن ، فمثل

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

هذا الجسد لا يشبع منه ، فإذا عاشرته وانسجمت معه وتلذذت به عدت إليه كأنك لم تفعل شيئاً ، أرأيت اللحم الطري وهو يشوى على النار الفحمية فيكون أشهى اللحوم ، فتأكل منه بشرهة كأنك ما أكلت منذ شهرٍ متواصلٍ ، يستمتع محمود بحبيبته ماري ويظلا على الفراش حتى كاد أن ينسى ما يريده منها فتذكر ذلك ، فقال لها وهو يداعب جسدها بلسانه ويديه ويقبلها من شفتيها التي تجعل من الزاهد مزواجاً ، فيستخرج منها ما يحتاجه من أسرارٍ عسكريةٍ فهي في تخديرٍ أشد من الخمر ومن التخدير الطبي ، فقال لها :

ما أخبار الوطن ماري؟

فقالت له ماري وهي في نشوتها :

إن زوجي يقول:

أنهم بدأوا في حشد قوات المشاة والمدفعية بالقرب من الحدود المصرية وفي داخل سيناء ،

فقام محمود دون أن يشعرها وقال لها:

وماذا حدث أيضا؟

فقالت له ماري:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

لا شيء سوى أنهم استدعوا من كان في الجندية وأعلنوا حالة التأهب القصوى، فجلس محمود وأشعل سيجارة وقال لها:

كيف حدث ذلك ولا أعرف؟

أيحدث كل ذلك ونحن هنا؟

ماذا تقولين ؛ الوطن يستعد ونحن نرقص ونغني؟

فقالت له ماري وهي تضع رأسها على فخذه:

لا تنزعج هكذا، فهم قد جاءهم بعض الأخبار أن مصر تستعد للحرب ، فأدار محمود وجهه وابتسم ابتسامة الفرح ، ثم نظر إليها وقال:

وهل هذا الخبر قد أكد أم محض إشاعة نكراء؟

فقالت له ماري:

دعك من هذا كله وتعالى في أحضاني نتعانق معاً ، فنظر محمود في عينيها ولكن يريدها أن تذهب هي أو يدعها ويذهب ، ولكنه يتمالك أعصابه فهو رابط الجأش ثابت القلب فلا يظهر عليه أثر التوتر أو ما بداخله لأنه تدرب علي ذلك كثيراً ، فقال لها:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

هيا لتنامي فأنا أريد أن اجلس بمفردي ، فنظرت إليه وهي تغمض عيناها ، ثم قالت له:

كما تحب ولكن تعالى عانقني وقبلني قبل أن تتركني وتمضي ، فعانقها وقبلها قبلة طويلة ودخل غرفة الأدوات التي يستخدمها ولكن بعدما تأكد من نومها نوماً عميقاً وذلك برشق قطرات بعض السائل المخدر على وجهها ، ثم دخل غرفة الأدوات وأحضر ما يكتب به من مقطوعة موسيقية قال فيها :

لقد استعد الجيش الصهيوني للحرب وحشدوا كل قواتهم المدفعية والمشاة بالقرب من حدودنا ومن سيناء ، وظل محمود إلى بزوغ الفجر مستيقظاً ، وحتى لا تشك ماري في أي شيء أسرع محمود واضطجع بجوارها سويعات حتى أشرقت الشمس فاستيقظت ماري وهي لا تستطيع أن تفتح عيناها وتمسك برأسها كأن رأسها تصدع ، ففتح عيناه وقال لها ماذا بك؟

ماذا ألمَّ بكِ؟

فقالت ماري وهي تمسك برأسها:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

أحس ببعض الصداع الذي يؤلمني كثيراً،

فقال لها محمود:

لا عليكِ سأعطيك كبسولةً للصداع تجعلك لا تشعرين بأي شيءٍ ، فقام محمود وأحضر لها الدواء فتناولته ثم دخلت دورة المياه لتغتسل من نومها ، وبينما هي تغتسل ذهب محمود لجهازه الصغير الذي يخبئه في آلة العزف ، فنظر بها ، فإذا برسالة أتته عبر الجهاز الصغير وفيها:

هذا الخبر الذي تناقلته صحف الصهاينة أن مصر تستعد للحرب فهذا ما أوحيناه لهم عن طريق بعض الجواسيس المزدوجة وأما عن استعدادهم للحرب فهم يستعدون دائماً للحرب لأن الخوف يسيطر عليهم ولا سيّما هذه الأيام بعد تفجير الحفار والمدمرة إيلات وبعض العمليات التي قمنا بها ، وسنجعلهم يطمأنون لنا في الأيام القادمة؛ انتهى ، فيغلق محمود الجهاز ويواريه في مكانه السري ويخرج لغرفته بعدما مزق الورقة إلى شرائح صغيرة، ثم خرج قبل أن تخرج ماري من دورة المياه وبعد قليلٍ خرجت ماري وهي مبتسمة والنور يخرج من بين ثناياها فقالت لمحمود:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

لقد تأخرت عنك بعض الوقت ، لقد اشتقت إليك في هذه الدقائق القليلة ؛ فقال لها محمود وهو يقبلها:

وأنا يا ماري اشتقت إليك كثيراً ولكل جزءٍ في جسدك الجميل هذا ، فقالت ماري:

هيا ادخل دورة المياه وتعالى لنكمل ما كنا نفعله بالأمس ، فنظر محمود لها وابتسم ودخل دورة المياه ، ثم جلست ماري تنظر للسرير وهي تخاطب نفسها:

إلى متى أظل هكذا أتردد على محمود من حين إلى الآخر، فلماذا لا نبقى معاً إلى الأبد ولا نفترق حتى نهرم ، أنا حزينة ، لا حياة بدون حبيب أو محبٍ مخلصٍ كمحمود ، أود أن تتكرر تلك اللقاءات مراراً؛ أنا لن أتركه ؛ سأطارده ؛ سألاحقه؛ لن أتركه ؛ سأذهب وراءه أين ما ذهب ، حتى لو ضربني أو فعل بي ما سيفعله ، سأتعلق به وأتشبث بتلابيبه ، فكم عانيت وأعاني من أجله ، فلم يبقى في فؤادي قطعةً سليمة إلا وتقطعت ، لقد فقدت نفسي وزوجي فكم أهمله ولم أراعي حقه ولم أنجب منه لبغضي إياهُ ولكل ما يذكرني به ، فشتان ما بين الرجلين ، فهذا الرجل الذي أبغضه هو زوجي الذي يكسوه البرود والخمول وعدم الإحساس بأنوثتي التي

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

أضعتها معه طوال هذه السنوات العشر، يا ليتني عرفت ميشيل قبل هذا الخنزير الأحمق الذي لا يقدر جمالي وحسني.

-قطع محمود حبل أفكارها ووضع يده على شعرها ثم قال لها:

في أي شيء تفكرين أيتها الحسناء؟

فاندهشت ماري ونظرت إليه وهي تنظر في عينيه وتمسك بيديه الحانيتين وتقبل يده بعاطفة قوية جياشة ، فقطع محمود عليها كل هذا كله وقال لها :

هل ستذهبين الآن إلى تل أبيب أماذا تنوين فعله؟

فقالت له ماري:

سأظل معك حتى نرجع سوياً ، أم أنك مللت مني؟

فنظر إليها محمود وقال لها:

لا أنا لا أملُّ من طلعتكِ أبداً، فأنا أحبك من كل قلبي ، ولا أريد أن أتركك أبداً ولكنك تعرفين أني أبتعد عنكِ لأنك متزوجة ولا أحب أن أُخببكَ على زوجك حتى لا يغضب مني ، فأنت تعرفين

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

العلاقات التي بيننا نحن اليهود ، فلا يجوز أن يحدث بيننا ما يوتر تلك العلاقات ،

فقالت له ماري:

ولكن لن أتركك أبداً ولو استدعى ذلك لأن أقتله ،

فقال لها محمود:

لا تفعلي ذلك فلا يجوز بيننا تلك المشاحنات والفضائح فنحن إخوة وأحباب بعضنا ، فلا نريد أن تكون الفرقة بيننا ، ذلك الكلام يخرج من لسانه فقط لإخفاء ما يواريه من شعورٍ بالبغض لهم ، فهؤلاء الأقزام لا يجب علينا محبتهم أبداً مهما فعلوا، لأنهم أظهروا لنا العداوة بأفواههم وقلوبهم وفي كتبهم ، فحتى لا يخدع أحداً منا بهم، فهم لن يرضون عنا أبداً حتى نتبع ملتهم، كما قال ربنا سبحانه وتعالى

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم.... الآية)

فهذا كلام ربنا العظيم ونحن نصدقه ونؤمن به وبما فيه من كلام قدسي جليل لا يتغير ولا يتبدل ولا يعتريه الزيف ولا التحريف ولا اللعب بمحتواه. - قضى محمود مع ماري أكثر

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

من أسبوع، فقد قضى معها ألذ الأوقات وتمتع بها وبجسدها الأملس الذي لا يقاوم ولا يُترك وبملامحها الذكية المتلألئة ، فكم ينقل الريح عبير البساتين ورائحة الورود الفواحة ، أما الريح الخبيثة فتنتشر في نطاق واسع وتؤذي من شمها واستنشقها ، فأبناء الغيب لا مكان لهم وسط قناديل البحر العملاقة وصوت المدفع حين يدويّ في الأرجاء فلا يفزع من كان في الرمس دفيناً ولا يهاب من تحللت عظامه نيران الدبابات ، فليس كل حليمٍ يقدر دوماً أن يتحمل غباء الصبيان ، ولون الماء لا يتغير بفعل الظلماء ، أما الثوب الأبيض فتلوثه أتربةً وغبار ، فيا ساكناً قصر الدهماء لا عليك فأنت في الغي غرقت ، فلا تحسبن الظل يدوم يا هذا، فالشمس تسطع في الأفق، وينزل الغيث في الصباح على كل من استيقظ لا الكسلان.

الفصل الحادي عشر:

إلياس

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

-يستبطئ إلياس رجوع ماري عندما وصل إلى المنزل منذ ثلاثة أيام فلم يجد ماري فأخذ يتحرك في المنزل كالفأر الذي لا بجد مهرباً له فيدخل ويخرج ويشرب الخمر كالظمئان ويسكر عقله فلا يدري بما يفعله ، ويظل يهذي بكلمات ليست مفهومة أمام الناس في ناديهم الذي يتسامرون فيه ، فقال:

أنا من صنعت ذلك في نفسي ، أنا إنسان ضعيف ليست لي شخصية ولا كرامة في بيتي ، أنا من فعلت بها هذا ، أنا من ملكتها نفسي وفؤادي ، لقد تركت لها كل شيء تتصرف فيه كما تشاء، وتركت لها الحبل على الغارب ، فلم أرضى بخراب بيتي وهدم حياتي بتركها وأن أدعها وشأنها ولكني لست كباقي الرجال الذين يفرضون شخصيتهم على زوجاتهم وينعقون كما تنعق الأنعام ، أنا قد أضعت نفسي وأضعتها معي ، فهل أنا المخطئ أم هي؟

أم أنا وهي قد أخطأنا؟

أماذا؟

لا أدري ماذا ينقصني حتى تذهب لميشيلٍ هذا العازف الذي يلتحف وجهه بالشعر الكثيف في لحيته وشاربه؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

سأقتلها وأقتله حينما يأتيان ، لن أرحمهما مهما حدث ومهما يترتب على ذلك من عقبات ، لا يمكن لمن قتل دجاجة صغيرةً أن يتبوأ لغابة السباع ، فمن أجل غاية صغيرة يموت كبار الأقوام ، فلن ينجب العنكبوت سوى الوهن والتراب ، فمن زرع بذور الموت سيموت بنفس البذر ، ومن يطهي زعاف الثعبان في طعام الفقراء سيموت ولده بكل زعافٍ وسمومٍ وبنفس أداة القتل التي استخدمها ، فكما تدين تدان ، ومن يزرع اليأس والحزن والموت والجوع في أرض الناس سيحصد ألم الفراق والحزن العميق الذي سيجعله يندم ويتحسر ألماً.

-رجع إلياس إلى منزله بعد منتصف الليل وهو يترنح شمالاً ويميناً ويهذي بالكلمات ، ويحاول فتح الباب بما معه من مفاتيح ولكن ماري فتحت له وهي متجهمة الوجه وكأنها لم تترك المنزل أو تغيب عن زوجها بالأيام ، فتراه هكذا وهو في سكره فقالت له:

أين كنت الآن إلى هذا الوقت؟

فقهقه إلياس بصوت مرتفعٍ وقال:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

من يسأل من؟

ثم تمادى في الضحك وقال لها:

أنت التي تبدئين بسؤالي أولاً حتى لا أسألك أنت أيتها المرأة الخائنة أين كنتي طوال هذه الأيام السبع؟

أكنت مع حبيبك ميشيل؟

أليس كذلك؟

لا تحاولين خداعي ؛ إياكِ أن تكذبين ، لأني سأقتلكما معاً ، لأنكما أنجس من رأيت ، ولا تستحقان أن تكونا من نسل داود ، لقد لُعنتما من قِبَلِ يهوذا ، لقد وجب علي قتلكما رمياً بالرصاص الآن

فأخرج سلاحه الناري من جعبته وماري تصرخ قائلة له:

لا تفعل هذا ، أنا أحبك كثيراً ، فقال لها:

تحبينني وأخذ يضحك ويقهقه ويترنح ويتلعثم كالعادة ويده ترتجف وبها السلاح وتكاد تخرج الطلقة منه وإذا بطلقة تأتيه من النافذة فأصابته في رأسه فمات على الفور، فوقفت ماري بجانبه لا تعرف ماذا تفعل ، وأخذت تصرخ وتبكي حتى اجتمع

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الناس وأبلغوا شرطة الأقزام فأتت كأنها خارج المنزل ، وماري تبكي وتقول لهم:

شخصٌ ما قد أطلق عليه النار من خارج المنزل بعدما جاء من الخارج وهو في سكره ، فأخذ الضابط يستدعها إلى مقر الشرطة وهي تبكي ودموعها تنهمر ، على وجنتيها ، فقال لها الضابط:

أين كنت في الايام السابقة؟

فقالت له ماري:

في روما لحضور حفلٍ موسيقي هناك ،

فقام الضابط وأخذ يتحرك حولها قائلاً:

ومع من هناك كنت تقيمين؟

فقالت ماري وهي تجفف عبراتها من على وجنتيها :

أنا كنت في رفقة ميشيل، هذا الفنان العظيم الذي تعرفونه وهو صديقنا منذ زمن بعيد، فوضع الضابط يده على كتفها وقال لها:

وأين هو الآن؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

فقالت ماري:

لقد تركته هناك وأتيت بمفردي.

-ماري لا تعرف ما حدث بالضبط فهي بالفعل تجهل القاتل وتقول الصواب ولا تكذب ، فهي كادت أن تموت لولا الله ثم هذا الرجل الذي قتل زوجها ، وبهذا تكون قد انتهت من زوجها هذا الذي كانت تبغضه ولا تطيقه وتريد ميشيل (محمود).

- علم محمود بما حدث فأرسل في طلبها بعد عدة أيام من الحادث ، فأتته على الفور بعدما استدعاها إليه ، فتصل إليه ليلاً ولكنها ليست كالسابق فالحزن يخيم عليها ووقع الحادث يؤثر فيها ، فالصدمة تفجعها وتجعلها متجهمةً وواجمةً ، ولكن محمود (ميشيل) سيخرجها مما أهمها.

ماري

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

-طرقت ماري الباب الساعة العاشرة ليلاً، ففتح لها محمود باب منزله وعانقها بشدة وضمها إليه بقوة فبكت بكاءً مريراً فقال لها محمود:

ماذا حدث؟

ولماذا تبكين؟

أكنت تحبينه لهذا الحد؟

فقالت ماري:

لم أكن أحبه يوماً من الأيام ولم أحزن على موته ، ولكنها فاجعة الموت التي رأيتها وجلل الحدث فموته كان مصيبة وصدمة ، فقال لها محمود:

اهدأي يا ماري لا عليك وانسي ذلك الآن ، وأنا سأجعلك تنسين حتى نفسك معي وبين حنانايَّ، فأخذت ماري تترك ذراعيه وحضنه الدافئ وارتمت على السرير منطرحة بجسدها وأفكارها لتدع نفسها بين يدي محمود أو ما يسمى بينهم بميشيلٍ ، فدخل محمود إلى الداخل ليجلب لها بعض الشراب ليهدئها به وبعد ثوانٍ معدودات يأتي إليها وفي يده

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

جعة من الخمر الروسي ، فهو من أجود الخمور ، يقول أحد السكارى

(إذا أردت أجود الخمور وأحسن النساء جمالاً فعليك بروسيا، ففيها الخمر الجيد والمرأة الحسناء) ، فيحتسيا كلاً منهما بعض الحثيات ، لينظر إليها محمود بعينيه كأن في عينيه بعض الكلمات فقال لماري وهو يضع على فمها كأس الخمر:

ماري أنا أعرف من قتل إلياس، فنظرت ماري إليه وقد حملقت به وهزت رأسها وقالت له من؟

فقال لها محمود:

المخابرات الإسرائيلية ،فقالت له ماري في تعجب:

كيف ذلك؟ ولماذا؟

نظر محمود للجانب الآخر واحتسى بعض الرشفات الأخيرة في الكأس ووضع أنامله على شعره الكثيف ليخلله واقترب منها وقال:

لقد علمت من مصادري الموثوقة أنه أفشى بعض أسرار الجيش وهو ثملٌ ويعربد ويهذي بما يعرفه من أسرار ، فلذلك قتلوه ولا تتعجبي من ذلك فجيشنا ووطننا لا يتهاون مع أي

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

عميلٍ أو خائنٍ أو مهملٍ ولا سيّما من كان ضابطاً في الجيش الإسرائيلي ،فقالت له ماري :

معك الحق في ذلك ، فلا يستطيع أي أحد أن يفعل هذا في عقر ديارنا سوى المخابرات والموساد ولكني أخشى عليك يا ميشيل من هؤلاء الناس أن يقتلوك كما قتلوا إلياس ، فقال لها محمود:

لا تخشين علي ، فأنا لا أقترف جرماً في حقهم حتى يفعلون بي شيئاً ،فقالت ماري:

أقول لك يا ميشيل ما أفكر به ؛ قال لها ميشيل:

قولي ما تريدين فكلي آذان صاغية ، فقالت ماري:

نريد ترك هذا المكان الملعون ونعيش في أي بلد آخر.

محمود لا يشرب كما تشرب هي ، فهو يوهمها بأنه يشرب ولكنه لا يتناول المسكرات أبداً حتى لا يفقد وعيهُ ولا صوابه ، فمحمود شكَ في كلامها هذا أن يكون وراءه من أحد فقال لها:

أنا أترك هذا الوطن بعدما شيدناه على أكتافنا وظهورنا ، أتقولين ذلك يا ماري من قلبك؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

أنا لا أصدقك ولا أكاد أصدق ما تقولين ، لقد ثملت يا ماري أماذا حدث لك؟

فقالت له ماري وهي تتجشأ من فرط الخمر:

لم يحدث أيُ شيء البتة ، ولكني كرهت هذا المكان وكل شيء فيه، أنا أريد يا ميشيل الحب والعطف ، أريد السكينة والدعة والتسامح والعيش في اطمئنان ، وليس كل الذي نراه من قتل وحرب خاسرة والعيش من أجل وعود خاوية وآمالٍ كاذبة ، نحن نعيش حياة غيرنا ونأكل خيرات أناسٍ ظلمناهم وأخذنا ديارهم بالقوة والسلاح في فترة كان يعيش فيها المحتل البريطاني ينخر في بلادهم ويأخذ ثرواتهم فتركهم لنا بلا دفاع ولا سلاح وفي فقرهم ومرضهم واضمحلال حياتهم ، فسلمهم لنا لقمة طريةً ولحمة ناضجة يسهل أكلها ، فجئنا من كل حدب وصوب كيأجوج ومأجوج حتى تجمعنا في تلك الأرض المقدسة ، فسفكنا عليها الدماء وقتلنا الأطفال وأثكلنا الأمهات بلا ذنب فعلوه ولا جرم ارتكبوه غير أنهم من المسلمين، فقال لها محمود وكأنه قد ثمل:

إيّهٍ يا ماري لقد تأثرت بكلماتك هذه فأنت تعرفين أني مرهف الحس لأني فنانٌ وأحرك مشاعر الناس بعزفي وموسيقايَ،

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

ولكن يا ماري لننسى ذلك وتعالي نجعل المشاعر تتحدث والجوارح تخاطب بعضها بما تحبه من لمسات وهمسات ، فقد اشتقت لرائحة أنفك التي تشبه رائحة التفاح وعبير فمك الذي أشهى من النعناع ومذاق جسمك الذي يكون كأجمل مذاق ، فابتسمت ماري ونهضت معه وهي تترنح كالنخلة اليافعة التي يهزها الريح فتتمايل يمنة ويسرة ، ثم قالت له:

هيا يا حبيبي ، فكم أحبك ولا أعيش من دونك أبداً ، وانبطحت والكأس ما زال في يدها ، فأخذه منها محمود ووضعه جانباً ثم أمسك خصرها وقبلها من شفتيها قبلة أطال المكث فيها وعانقها بقوة ليضعها على سريره برفق ويجردها من كل ملابسها ليضاجعها وهما في سعادة بالغة وحبٍ لا يقارن ، ولم تمضي سويعات إلا وقد قرع بابه شخصٌ ما ، ففتح الباب فوجده من قبل المخابرات المصرية ، فلم يخاطبه ولم يقف معه برهةً من الوقت بل أعطاه رسالة ومضى ، ففتح محمود الرسالة وماري تغرق في نومها ، فهي كانت ثملة وقادمة من سفرٍ وبعد هذا المجهود الجنسي أيضاً تكون قد دخلت العناية المركزة ، فقرأ محمود ما في الرسالة ، فإذا بها

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

من رقم 17 إلى رقم 19 عليك بالحضور غداً في "ڤيينا" ، فمزق محمود الرسالة وخلد بجانب ماري للنوم حتى جاء الصباح ، فاستيقظ مبكراً كالعادة وارتدى ملابسه وترك رسالة لماري قال فيها:

(أنا سافرت إلى ڤيينا لأمرٍ طارئٍ وسأعود غداً في الليل) .

الفصل الثاني عشر:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

محمود سلطان

-ذهب محمود إلى هناك فوجد بعض الرجال الذين لم يشاهدهم منذ زمن من قادة المخابرات المصرية ، فالتقى بهم وجلس معهم ودارت بينهم بعض الحوارات ومن أهمها استعداد مصر للحرب وأن الصهاينة الأيام القادمة سيظنون أننا لن نحارب الآن، وأخبروه بأن يبتعد عن ماري لأنها محل نظر المخابرات الصهيونية هذه الأيام وإذا أثبتوا عليها ما يثبت تورطها في أمرٍ مريب فسيقتلونها، فاعد محمود عدته وذهب لروما وهو ينفذ ما قيل له وهو مكرهٌ على ذلك ، ولكن مصر تستحق العناء والتضحية وبذل الغالي والثمين من أجلها، فدخل على ماري وهو به من الحزن ما به لكنه قال لها:

حبيبتي ماري: سأذهب لعملٍ في ألمانيا قد يستغرق عدة أسابيعٍ ، فنظرت إليه ماري في تعجبٍ قائلة له:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

ولماذا هذا السفر البعيد الكثير، سأذهب معك ولن أتركك تمضي وتدعني بمفردي أعد الساعات والدقائق حتى تعود ، فنظر إليها محمود وكله حزن وألمٍ وحاول تهدئتها قائلاً:

ماري سأدعك هذه المرة ولكنني أخطط لأن نتزوج ولا نترك بعضنا إلى الأبد ، سأكون في تل أبيب خلال أسابيع من الآن ، فبكت ماري ودموعها تغرق وجنتيها، ولكن لا مناص ، فالأمر ليس بيده الآن ولا يمتلك القرار فيه ، فكل الشهوات والغرائز توضع تحت النعال أمام المصلحة العليا ومستقبل البلاد ؛ تتكون من قطرات الماء البحيرات والقنوات ولكن لا تتحول العزة إلى كلمات وهتافات ، فقد مات الخوف في قلب الطفل الذي يعشق تراب وطنه ، فنساء تسبى من كلاب تنبح لأجل فتات العيش لهو العبث الذي لا يستطيع أي أحدٍ تقبله مهما نادت وهتفت كل كلاب الشارع ، فالأنهار من صنع الله وكل الكذب والخيانة من صنع الشيطان ، فلا تحاول هدم دارٍ ليتامى لتبني للقرد بيته الحقير ، هيا اختبر نفسك يوماً في أكل لحوم الخنزير ، هل رغبت نفسك أم سال لعابك لهذه اللحمة القذرة؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

لا تخف وقل ، فالنفس العفيفة تربت على فطرة سليمة لا تتغير ، أما نفس الكلب فلا تفرق بين لحم خالٍ من مرضٍ ولحمٍ لا يحرمه أي دينٍ أو طبٍ ، أنا أخاطب من كان له مثل قلب المؤمن أما القلب القاسي لا يتأثر.

في بلد النمرود
سيد أحمد أمين

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الخفاش

-الخفاش هو أحد الأقزام الذين تكّون منهم الموساد الصهيوني وهو شرس الطبع مبغوض الخلق منبوذ الوجه لا يحبه أي أحد وذلك لأنه عاش حياته كلها بين إراقة الدماء الذكية من علماء وقادة وزعماء وشعراء وكُتّابٍ فعلوا أو صنعوا أو كتبوا لبلادهم ما ينفعها ، فشارك هذا القزم بتلك العمليات ، ولكنه لم يتعامل مع محترف أو كان من ضحاياه من يعرف فنون القتل والضرب مثله ولكنه قتل فرساناً للعلم وللكلمة وللرأي ، فكان من الأحرى أن يُجابهوا بالمثل لا بالسيف والرمح والرصاص والحرق ، إن من الجبن أن تقتل من الخلف ، فالشجاع يأتي من الوجه ، ولكن ما تقول في "هرٍ لا يملك سوى مخلب ضعيف وأسنان صغيرة ، أيقدر أن يقف أمام التمساح؟

كلا وألف كلا ، فطيور الزينة لم تخلق لُتصطاد في رمضاء الصحراء ، فمن المحال أن تترك طفلك ليسبح في بحر" المنش" بمفرده أو حتى تتركه يسبح ، لأن سواعده لا تقدر

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

أن تتحرك في الماء ، أما هذا "الخفاش فكله يشبه سواد الليل ، فلا نور يحمله ولا أمل جاء به ، بل دماء الأبرياء تقطر من جبينه العفن وعبرات الأيتام والثكالى والأرامل تنطبع بين عينيه ليقرأها كل لبيب أنه "قاتل" ، فيتجه الخفاش إلى روما لأن بعض مصادرهم أخبروهم أنهم شاهدوا محمود هناك ، وذلك لأن محمود كان يظهر في بعض عملياته التي نفذها هناك بشكله المعتاد الأصلي ثم يرجع إلى حفلاته وفرقته بهذا المظهر الذي يبدوا به دوماً في تل أبيب ، فيأتي الخفاش لهدف موجود وحقيقي ، فمحمود حين قال أنه سيسافر ألمانيا فإنه قال ذلك لماري حتى يبعدها ولا يلفت انتباها لأي شيء ، ففي هذا المكان له غرفة بإسم محمود وغرفة بإسم ميشيل ، فإذا أراد أن يخرج كمحمود دخل غرفة محمود وغير من شكله وإذا أراد أن يخرج كميشيل دخل الغرفة الأخرى وغير من شكله ، فهو يتنقل بين الغرفتين وبين الشخصيتين ، فذهب محمود لغرفة محمود واستعد لهذا الخفاش ، فقد علم من رجاله أن هذا القزم قد وصل إلى روما اليوم ، فيعد له كل أدواته ورجاله ، ولكن هذا الخفاش لن يدخل في مجاله حتى لا يكون فريسة مثل من سبقوه فهم يعلمون مع من يتعاملون

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

، فنزل هذا القزم في بناية مهجورة أمام الفندق وتمركز فيها وقد جلب معه ما يلزمه من طعام وشراب لمدة أسبوعٍ حتى لا يترك المكان ومعه من يخبره لاسلكياً بخروج محمود من الفندق ، وقد أحضر بندقية بقناصة حتى لا يخطئ الهدف ، فعلم محمود بكل هذه التفاصيل وأنهم يعدون العدة لقتله وليس للفرار منه حتى يتبع أي أحد محمود لقتله ، فوضعوا خطة محكمة للنيل منه دون أن يفلت منهم أو حدوث أي بلبلة في المكان

-صعد الخفاش ذلك المكان وتأهب لذلك فهو يرى باب الفندق جيداً ويراقب المكان دون نومٍ أو غفلةٍ ، فهو يترقب خروجه في أسرع وقت ، ويأكل هذا الخفاش أو القرد بعض الطعام وتارة بعض الماء وأخرى يتبول ، وتارة يعتريه النعاس ومحمود لم يخرج من مكانه ولم يتحرك ولكنهم يعدون لهم ما يخلع قلوبهم ، فاتصل الخفاش بمن معه وسألهم بين الفينة والفينة:

هل خرج أم لا؟

هل ما زال بالداخل أم لا؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

وبعد عدة ساعات تصبب عرقاً فأعصابه بدأت تنهار حتى فقد اتزانه وجاء الليل وهو يحدث نفسه:

لماذا لم يخرج إلى الآن؟

ما هذه المهمة الصعبة التي وكلت بها؟

ومن هذا الرجل الذي استحال قتله كمن سبقوه ممن قتلناهم؟

يا خفاش لقد كبرت ولم تصلح لمهام الكبار ، بعد عمرك في حظائر القرود تقتل وتأسر، ما كان للنمل الأبيض أن يحلم إلا بما نشأ فيه وتربى عليه ، فخيول العالم لن تحرس بيت السلطان الكامن في قصر المجاذيب الذين ولدوا في عيش الترف والنوم والخلد ، فعيون المها تنظر في ليل الغربة بعين الحسد ، فكما تحب أن ترى غيرك فاخرج على الناس بلباس التقوى ذلك خير ، قول الله تعالى؛ فيتهافت كل من كان فوق سفح الجبل بلا قناع يحجبه عن أعين البصاصين والعسكر الذين يقفون ينتظرون من يقول الحق ويجزع من ظلم بنت الحاكم التي تمشي عارية قبل السحر لتنادي قنديل البحر أن ينقذها من شاعر الغزل الصريح الذي يصف فخذها العاري بكل صراحة ودون خجل وكأني من السوقة الذين يقطنون

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

أسفل الوادي الذي سكناه من آلاف السنين ، فلون المحار في شبكة الصياد يشبه لون الدم القاني عندما يزرف من شرايين الجسد الذي تخمر في ليل الماضي وانغمس في شعيرات السلام العقيمة ليموت هناك بين ألوانه ورسوماته الحزينة التي تدل على حرمانه من لبن الأم التي تركته وهو يرضع من ثدي الحمل الذي كان خارج المملكة يترنح من الجوع والظمأ وأمامه حزمة برسيمٍ لم يتناول منها سوى ثلاثة أعواد.

-اتصل الخفاش برَجاله ليسألهم ماذا حدث أهو ما زال بالداخل إلى الآن أماذا حدث له؟

فقالوا له:

تحلى بالصبر فما زال بالداخل ونحن نتابعه عن قرب ورجالنا بجوار غرفته يراقبونه ، فأنهى معهم كلامه ثم أخذ يأكل بعض الطعام ويشرب بعض الماء ويأخذ نفساً عميقاً ويزفر زفرة قوية مفعمة بالغيظ ، واتصل ثانية برجاله ليقول لهم :

سأنام ساعة وإذا خرج فأعلموني، فنام الخفاش ولكن دون غطٍ في النوم، ثم أتى الرجل الذي يشبه محمود ونزل من

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الفندق ومحمود يصعد ببندقيته القناصة وهو يرتدي زيه الذي يرتديه ميشيل ونفس هيئته فغرفة محمود وميشيل بجوار بعضهما ، فخرج محمود كأنه ميشيل وصعد لأعلى الفندق في تلك الهيئة ومعه آلة العزف ولكنها بندقية، فنصب محمود بندقيته واستعد في وضعية الضرب وخرج شبيهه الذي صنعوه كهيئته وتواصلا مع بعضهما عن طريق أجهزة صغيرة وأخبروا الخفاش بخروج محمود إلى الخارج ،فتأهب الخفاش لضربه فشاهد محمود رأس الخفاش وهي تطلُّ من النافذة المفتوحة في المنزل المهجور فسلط البندقية عليه وقبل أن يضغط الخفاش على زناد البندقية ضغط محمود على زناد بندقيته فخرجت الطلقة من فوهة البندقية فدخلت في رأس الخفاش فمات على الفور وخرج شبيه محمود ليستقل سيارة سوداء، فبمجرد أن ركبها انطلقت بكل سرعة لتختفي من أمامهم ، وأسرع القرود خلفهم على أقدامهم ولكن هيهات أن يلحقوا بهم ، ثم نزل محمود من الأعلى إلى أسفل حيث اجتمع الناس وبعضهم صعدوا للمنزل المهجور ، فركب سيارة بها بعض من يعزفون ويحملون بعض الآلات الموسيقية حتى لا يشك فيهم أي أحدٍ ، وانتهى هذا الخفاش

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

بكل ما يحمله من قذارة ونتنٍ وذهب مع من قتلهم في الأجداث ، لكنهم في الجنة لأنهم كانوا أصحاب قضية سامية ويعملون لصالح البشرية كلها ، أما هو فمن أصحاب النار وبئس المصير وهذا لموته على القتل والكفر ، يتهاوى مثل هذا القزم من ذاكرة التاريخ ويبقى للأبد من عُذبوا ومن قُتلوا ومن مُثّل بهم وبذويهم ، فشتان ما بين قتيل وشهيد ، فهذا في عليين وهذا أسفل سافلين ، شتان ما بين من كان بين الناس رجلاً ومناضلاً وصاحب همٍ وقضية ورجلٍ كان يتبع ساداته ويلعق ما تبقى من سيده ويقبل نعاله فالدنيا بها كل الأصناف ، فبها الرجال الذين لا يهابون الموت وبها أكثر الرجال الذين هم في الظاهر منظر رجال وفي الداخل يحملون قلوب وطبع النساء ، بل إنني أظلم بعض النساء فمنهم كانت نسيبة بنت كعب الأنصاري التي دافعت عن نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) وقالت له في غزوة أحد:

نحري دون نحرك ودمي دون دمك يا رسول الله ، ولم تترك القتال حتى قطع ذراعها وهي تقاتل مسيلمة الكذاب،

فلو كان النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال

فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخرٌ للرجال ،

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

كما قال الشاعر مدحاً في النساءِ الذين يحملون أجساد النساء ولكنهم يتعاملون وقت البأس وحين تخطب السيوف على رقاب الرجال كأنهم ولدوا رجالاً ، فالأصل في الأشياء التغيير المستمر ، ولكن من لا يتغير فأقم عليه مأتماً وعويلاً ، فالكثير من الأمم تتغير ويتبدل حالها من سوء لأحسن ، أما إذا رأيت أمة تقبع في الظلام وتحب ذلك بل وتحتفل بما هي فيه من ظلمة وليلٍ دامس ، فاعلم أنهم في قعر الجب وسيأتي من يسكب عليهم التراب ويغطيهم بوابل من الرمال حتى لا يتسنَّ لهم الخروج والنجاة ، إن شعباً اختار الرقود والنوم والكسل وحب الكلام والسخرية ممن نجح في حياته لهو من الشعوب التي تستحق الإبادة والتطهير من على ظهر الأرض ، فلا تعجب من أن الله ترك هؤلاء القرود يصعدون على رقاب من وحدوه وعبدوه ، فالله يحترم سنته في الكون ومن سنته كما قال بن تيمية:

(إن الله لينصر الأمة العادلة ولو كانت كافرة ويخذل الأمة الظالمة ولو كانت مسلمة)، فالله خلق الإنسان لإعمار الأرض وجعله خليفة فيها ليزرعها ويعمر جبالها وينقب عن كنوزها وثرواتها في البحر وفي البر وليصعد إلى السماء ليكتشف ما

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

بها من ملكوت ، فلما لا وقد أمرنا الله بأن نسير في الأرض وأن نتحرك ونجاهد ونعمل ونصبر على ذلك كله ، ولم يأمرنا بالتخاذل والنوم الكثير والقعود على المقاهي وتضييع المال على الترحال للتنزه والتبذير ، فهؤلاء الناس ودعني أقول الناس ، قد أخذوا بأسباب الحياة وعرفوا أنىٰ يستخدمونها وسخروا العلم والمال والأيدي المكافحة لإعمار ما استولوا عليه من أرضٍ كبيرة ، فقد جعلوا من فلسطين مصانع شتى ومزارع تملأ الجبال ، وقد حولوا الصحراء من أرضٍ قاحلة ورملية إلى جنات مترامية الأطراف وحدائق غناءَ فيحاءَ ، وإلى مزارع للحيوانات ، وقد جعلوا في أعوام قليلة مستعمرتهم بها كل ما يحتاجونه من زروعٍ وآلات وسلاح وذخيرة وكل ما يستخدمونه ، فهم يكدحون ليل نهار ويعملون كالنمل الدؤوب الذي يعمل في صمت، فلا تسمع لهم عن مظاهرات أو إضرابات أو شكوى من جوع أو حاجة ، وفي المقابل تجد بلداً بها كل أسباب الرفعة والسمو والعلو ومع ذلك لا يتحركون ولا يعملون ولا يشيدون ما يغنيهم عن غيرهم فيستوردون كل شيء حتى الطعام والمياه ، فلا تعجب من ركوب الصرصور على ظهر الليث فهو من تركه يركب.

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الفصل الثالث عشر:

محمود سلطان

-ترك محمود سلطان هو وفرقته روما بدعوى أن هذا المكان ليس بمأمنٍ لهم فدخل المستعمرة هو وفرقته بشخصيته التي يعيش بها هناك وهي ميشيل الموسيقار والفنان الكبير لديهم وبعد عدة ساعات من وصوله تأتيه ماري وتجلس معه ومعها بعض الهدايا له ، فاقتربت منه ماري ووضعت رأسها على صدره وأمسكت بيديه وقالت له:

لقد شغلتني عليك فمنذ أن علمنا بمقتل هذا الرجل التابع لنا وأن هناك هذا الضرب وإطلاق النار فلم أعرف النوم وكنت أفكر فيك طوال هذه الساعات التي مضت ، فضمها إلى محمود إلى صدره وقبل رأسها ووقف ليعانقها ويقبلها من شفتيها وهو يقول لها:

يا ماري تفعلين ما أقوله لك ولا تخالفينني أبداً مهما حدث؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

فقالت له ماري:

بلى أفعل كل شيء وأطيعك طاعة عمياء ، فقال لها محمود:

سنتزوج يا ماري ولكن ستعيشين معي في أي مكان وبأي عقيدة؟

فقالت له ماري:

نعم دون أن أسألك أو أناقشك في فحوى سؤالك ولكن سأفعل ما تحب وعلى الكيفية التي ترضى عنها ، وإن أردت مني أن نترك الأرض كلها لفعلت ، فقال لها محمود:

ولكن ليس الآن ، فبعد عدة أسابيع وربما أيام سنتزوج ولكن إلى أن يحين ذلك فنحن لن نفارق بعضنا ،

فقالت ماري وهي تبتسم:

كما تشاء ما دمنا سنبقى معاً فلا يهم

أما محمود فأخذ يخطط لأن يذهب إلى مصر بعد الحرب لو كان هناك النصر فهو تعب من كثرة التمثيل وحمل شخصية غير شخصيته وحرمانه من الزواج وإنجاب الأطفال والعيش كما يعيش الناس بالإضافة على أنه صار مطارداً ودمه قد أبيح لدى هؤلاء الأقزام ولا يستطيع أن يظهر بشخصيته

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الأصلية في بلد سوى مصر ، فقضى محمود مع ماري ليلة سعيدة بكل ما بها من قبلات وهمسات وعلاقة حميمية ، ولم ينشغل بما يفعله معها من معاشرة عن واجبه الأساسي فأخذ يحاورها عن الحرب وعن شأن المستعمرة ، فماري لها إخوة في الجيش في أماكن استراتيجية وتسمع منهم ما يرونه عن تسلحهم وما هم فيه ، فقالت له ماري:

إن أخي بنيامين يقول:

إن الجيش المصري لا يستعد للحرب ، فقد رأيناهم وهم يلعبون الكرة في الجانب الآخر من القناة ومن خط برليف ولا يوجد لهم أي تحركٍ لقواتهم نحونا ، ويقول:

إنهم استسلموا ورضوا بما هم فيه ولن يستطيعوا أن يأخذوا أرضهم هذه مرة أخرى، ولا سيما وأننا شيدنا هذا المانع الترابي بيننا ، هذا الخط المنيع الذي لا يقهر ، فقام محمود من على السرير وجلس ليشعل سيجارة ووقف يتجول في الغرفة كالسبع الهائج ،

فقالت له ماري:

ماذا حدث يا محمود؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

هل هذا الحديث أغضبك؟

فقال لها محمود:

نعم أغضبني ، لأن هذا الذي تقولينه يقلقنا جميعاً ،فما معنى هذا الكلام ، يجب أن تعرفي أكثر من أخيك حتى لا نقلق على بلدنا الحبيب ، ثم تركها محمود بعدما نامت وخدرها كما فعل بها في السابق ثم دخل غرفته ليراسل قادته حتى يعرف منهم ما يحدث ، فأحضر أدواته وكتب الرسالة ونصها:

لقد علمت من مصادر موثوقة أنكم لا تنوون حرباً مع الصهاينة الآن، فهل هذا الخبر تؤكدونه أم تنفونه ، يأتيه الخبر سريعاً

من الأسد إلى الثعلب عليك الحضور لفرنسا غداً وستعرف كل شيء ، فتجهز محمود للسفر وترك رسالة لماري حتى لا تنزعج، فقال لها:

حبيبتي ماري أنا ذهبت لأوقع عقد عمل لنا في فرنسا ولم أخبرك حتى لا تصرين على الذهاب معي، فسافر محمود لفرنسا وقد أعدوا له ما يؤكد عمله كفنان من منتج ومخرج وغير ذلك وبعد ذلك يكون بمفرده في ذلك المنزل المجهز له

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

ويجد محمود هذا الضابط الذي لم يره منذ زمن وهو من الذين كانوا معه في أول الطريق، فيرحبا ببعضهما ويجلس الجميع مع محمود ليخبروه عما حدث وما سيفعله الأيام القادمة ، فقال له الضابط محمد:

لقد عرفت أننا لن نخوض حرباً وهذا ما أظهرناه لهم ، ففي هذا الوقت نعلن عن ذهاب الرئيس لعمرة رمضان ومعه القادة الكبار وأيضاً جعلنا بعض الجنود تلعب الكرة بعد العصر حتى نوهمهم بفراغ وقتنا وفعلنا بعض الأشياء التي تجعلهم لا يشكون في استعدادنا للحرب ، أما الحقيقة فنحن نستعد للحرب خلال أيام وعليك أن تجلب لنا المعلومات الكافية عن أسلحتهم المتقدمة ونوع الطائرات وغير ذلك مما يجعلنا نحارب على علم بما عندهم ، ففرح محمود وتهلل وجه وقال لهم:

بعد هذه الحرب أريد أن أعتزل هذا العمل نهائياً حتى أتزوج وأنجب ولو ثلاثة أولاد فقط ، فضحكوا جميعاً وقالوا ثلاثة أولاد وهل هذا فقط ، فقال له محمد:

ومن ستتزوج؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

هل هي ماري عشيقتك الصهيونية أم من؟

فقال له محمود:

نعم هي ولن أتزوج غيرها وستفعل ما أريد منها عن طيب خاطر ورضى منها ، فقال له محمد:

مبارك يا ثعلب عليك الزواج، فانصرف محمود لتل أبيب وهو فرح وسعيد ولكن ما يهمه هو جمع المعلومات ، فذهب محمود لمنزله ليأخذ ماري ويذهبا لهذا النادي الذي تجتمع فيه الشخصيات المهمة ، فيقامرهم ويجلس معهم حتى يستخرج منهم ما يريد ، فتتهلل ماري فرحاً بما حدث اليوم معها فمحمود يخرج معها أمام الناس ولم يخشى أي أحد ، فلم يتكلم مع ماري أي أحدٍ سوى أخت زوجها التي لما رأتها تغير وجهها وغضبت واقتربت منها قائلة:

لقد مات إلياس، أو من يعلم لعلك أنت من قمت بقتله وبعد ذلك تذهبين هنا وهناك ولا رقيب عليك ،فقالت لها ماري:

ماذا تقولين أيتها المرأة الشمطاء؟

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

لو لم تصمتي لأشبعتك ضرباً فجاء شقيق ماري وكان جالساً مع محمود فأسكتهما وأخذ يتحدث مع محمود عن السلاح الكثير الذي نستورده مع أننا لا نحتاجه أبداً الآن ، ومحمود يسمع منه وكأنه لا يهتم بكلامه ولكنه إذا صمت سأله سؤالاً يستخرج ما في بطنه من أسرار ، ثم بعث محمود تلك الأخبار لمصر بسرعة وسرية ، فاتفق محمود مع ماري أن يسافرا مصر ولكن بعد أن يذهبا لأنقرة ، فقالت له ماري:

ولماذا مصر يا ميشيل؟

وكيف سندخلها؟

فقال لها محمود:

سنذهب هناك كفنانين أو سائحين ولا تعولي هم جواز السفر أو أي شيء.

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

ديفيد وسمحون ومريم وسارة

-هؤلاء الأربعة صاروا من الذين يخدمون الأقزام في شؤونهم المعنوية كمختصين في رفع معنوياتهم وتعبئتهم نفسياً ولا سيّما بعد فشل سمحون وديفيد في قتل محمود سلطان ، فقد أحيلوا لهذا القسم ليقوموا بهذه المهام التي تناسب النساء ، ففرق بين من يمسك السيف ومن يمسك القلم ، فهذا في ساحة خروج الأرواح وهذا في ساحة خروج الكلمات.

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الفصل الرابع عشر:

الجيش المصري

-تجهز الجيش المصري لحرب الشرف والكرامة والعزة فبعث آليات الحرب ليلاً وفي سرية تامة واقتربت ساعة الصفر وفي رمضان والناس تصوم هذا الشهر وترفع أكف الضراعة بالدعاء أن ينصرهم على اليهود ومن هاودهم ، وفي غفلة من الجيش الصهيوني ، فهم لا يتوقعون نشوب حرب في شهر الصوم ، وكذلك القادة أسمائهم في قائمة من ذهبوا للعمرة ولكن هذا الترتيب والتخطيط الدقيق لهو تخطيط قائد مخضرم ، فيتحالف الرئيس السادات مع ملك السعودية ومع رئيس سوريا ومع معظم حكام العرب ، فيمنعون البترول عن أمريكا والصهاينة وفي ساعة واحدة قد اتفق عليها تطير

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

الطائرات المقاتلة نحو سيناء فتقذف القنابل على آلياتهم وأسلحتهم وتُغير الطائرات في معركة لسرب الطائرات التي لم تشهدها مصر من قبل ويزحف أبطالنا الجنود نحو خط برليف الحصين فيحولونه لتراب تحت أقدامهم بمياه وليس غير ذلك ويتقدم المشاة وتنتشر الدبابات وتقذف المدافع والمدرعات ويهتف الجنود: الله أكبر؛ الله أكبر، فتعالت الصيحات وزالت من أمامهم العقبات وتحررت سيناء من دنس المحتل الغاشم ولكن سوريا لم تسطع أخذ الجولان ، لأن هذا المرتفع يصعب أخذه مرة أخرى ، ففرح الشعب المصري لذلك فرحاً شديداً وتعالت الزغاريد والهتافات ، ووصل الخبر تل أبيب فاغتم من في هذه المستعمرة وحزنوا حزناً عظيماً ، فهذه الأرض أخذوها دون قتال أو عناء ولكن أخذت منهم بأرواح كثيرة منهم وبخسائر مادية هائلة ولولا أمريكا وتدخلها لدخلنا تل أبيب ولكننا واجهنا طائرات أمريكية في الأجواء واقتربت الذخيرة على النفاذ لولا قرار السادات الحكيم بوقف اطلاق النار ، فتوقف لا لجُبنِنا ولا لضعفنا ولكننا كنا نواجه من هم أكبر من الصهاينة ، فقد استعانوا بأمريكا وبدول كثيرة لوعود لهم ولتكتفهم ضد المسلمين،

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

فوصل الخبر لمحمود فاستعد ولكنه لم يظهر ذلك لهم وقد كان في أنقرة ومعه ماري، فنظر لوجه ماري فلا يراها تتأثر بما حدث ، ولم ينطق وجهها بالألم والحزن كما فعل الصهاينة ولكنها كانت تهيم في محمود ولا يعنيها أي أحد سواه

فلما رأى محمود منها هذا قال لها :

ماري لو أنا مصري ومسلم هل ترضين أن تعيشين معي كزوجة؟

فقالت له ماري:

ماذا تقول؟

أنا سأعيش معك في أي مكان وفي أي وضع ولكن لماذا تقول ذلك

فقال لها محمود:

أكرر عليك السؤال مرة أخرى:

هل تعيشين معي لو أنا لست يهودي أو إسرائيلي؟

فقالت له ماري:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

وانا أكرر الإجابة ؛ نعم سأعيش معك على أي وضع وفي أي مكان ، فيكشف محمود عن شخصيته الأصلية وينزع شعر رأسه الموصول وشعر لحيته أيضاً فيظهر بوجهٍ مختلفٍ ، فتحملق به ماري وتصمت وهي تضع يدها على فمها ، ثم نطقت وقالت:

ما هذا ومن تكون؟

فقال لها محمود:

أنا محمود سلطان من مصر وديني الإسلام ؛ فقالت له ماري في تجهم:

وماذا كنت تفعل لدى إسرائيل؟

فقال لها:

كما رأيت أعزف وأغني ولكني كنت آخذ حذري من قومك ، ولن أقول لك أي شيء آخر حتى تفي بوعدك لي ونتزوج ونذهب لمصر وإلا فسأتركك وأمضي ولن أعود لتل أبيب أبداً وخاصة بعد أن كشفت نفسي لك ، فقالت له:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

لا لن أدعك ترحل وتتركني ، سأذهب معك لأي مكان تذهب إليه وسأعتنق دينك ما دمت أنت في اقتناع به فأنا سأقتنع به أيضاً ، فقال لها محمود:

هذا رأيك الأخير أم ستغيرين رأيك؟

فقالت له ماري لا ولكن سأدخل مصر بهذا الاسم أم ستغير إسمي؟

فقال لها محمود:

ستعرفين كل شيء ولكن هيا لنرحل من هنا فوراً ، فذهبا محمود وماري لمصر ليدخلوها آمنين مطمئنين فمصر بلد الأمان والسلام وبلد الناس الكرام الذين يرحبون بكل ضيفٍ حتى ولو أتى غازياً ، فتزوج محمود من ماري وأنجبا ثلاثة أولاد كما تمنى محمود.

النهاية

دار تُراث للنشر الإلكتروني

TorathBookstore

رواية القرود في بلد النمرود

للكاتب : سيد أحمد أمين

2020/5/22